الفصـــل الثـــاني

إرهاب ما قبل الدولة

« لقد تمخضت الحرب العالمية الأولى عن وعد بلفور ، أما الحرب العالمية الثانية فلابد أن تأتي بالدولة اليهودية » ..

بن جوريـــون

الفصـــل الثـــاني

إرهاب ماقبل الدولة

عاش اليهود يحلمون بإقامة « الجيتو الكبير » حيث يتجمع كل اليهود من الشتات في رقعة أرض واحدة ، وتحت علم واحد ، وأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم .. وفكروا في أوغندا وطناً قومياً لهم ، وفكروا في الأرجنتين ، وفكروا في سيناء لولا عدم وجود مياه وفيرة بها ، واستقر بهم الأمر على فلسطين ، وأخيراً حصلوا على وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وبدأت بريطانيا – حكومة الانتداب على فلسطين – تسهل لهم الهجرة إلى فلسطين ، وقد جاءوا إلى فلسطين وهم يحملون كل أحقاد الدنيا على البشرية ، وأصبح لهم الأرض التي يمكن أن يمارسوا من خلالها أحقادهم ، وأن يحققوا الوعد الذي قطعوه على أنفسهم بالثأر من البشرية – كل البشرية – ، على المجازر التي أقيمت لهم في كل أنحاء الدنيا ، فيما عدا العالم العربي ، ولكن .. يثأرون ممَّن ؟ .. فالذين أقاموا لهم المجازر في بلاد بعيدة ، فكان الثأر من الفلسطينيين على أرض فلسطين ، ولم يكن الثأر للثأر وحده ، بل كان لتحقيق هدف المؤتمر الذي عقد في عام ١٨٩٧ فى مدينة بال ، وتقرر فيه العمل على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وطرد شعبها ..

وهنا قامت الوكالة اليهودية بتصميم شعار يحقق هدف مؤتمر بازل ، وهو صورة لليهودى يحمل البندقية بيد ، والفأس في يد أخرى .. أي البندقية لطرد العربى ، والفأس لزراعة أرضه واستيطانها بعد خروجه منها ..

لذلك .. كانت الدعوة لإقامة مؤسسات عسكرية إرهابية في فلسطين تلقى قبولاً شديداً عند كل اليهود القادمين إلى فلسطين في حماية القوات البريطانية .. وشهدت فلسطين (١٩٢٠ – ١٩٢٥) أكبر هجرة يهودية ، حيث عينت بريطانيا مندوباً سامياً يهودياً هو « هربرت صمويل » ، وهذا المندوب السامي فتح أبواب فلسطين لليهود ، واعترف بمبدأ تمثيل اليهود في الجمعيات واللجان المحلية ، كما اعترف باللغة العبرية لغة رسمية في فلسطين ، وفتح صمويل للشركات الصهيونية امتيازات إنشاء الأعمال الرئيسية في فلسطين كمحطات الكهرباء والطرق ، ثم أقام لهم المحاكم اليهودية ، وانتهى به الأمر إلى افتتاح الجامعة العبرية في أبريل عام ١٩٢٥ ..

في عهد هذا المندوب السامي ، كان اليهود يشكلون أول مؤسسة عسكرية سرية ، هي منظمة الهاجاناة ..

* * *

اتضحت المؤامرة كاملة أمام الفلسطينيين ، البريطانيون يعدون اليهود لاحتلال الأرض ، وإقامة وطنهم القومي ، وطرد السكان الأصليين ، وهنا بدأ الصراع الفلسطيني الصهيوني ، أو الصراع العربي الإسرائيلي ..

ومع ازدياد أشكال النضال الوطني الفلسطيني وارتقائه إلى مرتبة الكفاح المسلح سنة ١٩٢٠ ، خاض الثوار الفلسطينيون معارك ضد القوات الغازية في الجليل وفي عدد من المستوطنات اليهودية من بينها مستوطنة تل حاي التي وقف على رأس المدافعين عنها يوسل ترومبلدور زميل جابوتينسكي في الدعوة إلى إنشاء وحدات عبرية في الجيش البريطاني للعمل معاً ضد العرب الفلسطينيين ..

لم تقتصر الثورة الفلسطينية على منطقة الجليل فقط ، بل امتدت إلى القدس .. فبعد أن كانت المدينة تشهد مسيرات احتجاج ضد المشروع الصهيوني منذ بداية العام ، كالاشتباك الذي حدث في ٤ أبريل ١٩٢٠ وأسفر عن إصابة أكثر من مائتي مستوطن بجراح ومصرع ٨ منهم .. وكان جابوتنسكي وروتنبرغ قد أقاما في القدس عشية هذه الاشتباكات منظمة دفاع – هاجاناة – محلية استقطبت بين صفوفها ما بين ٣٠٠ ، ٤٠٠ مستوطن وقد أنحت سلطات الاحتلال البريطانية باللائمة في أحداث القدس على عناصر يهودية وعربية ، وقدمت عرباً ويهوداً إلى المحاكم .. وكان من بينهم جابوتنسكي الذي صدر عليه الحكم بالسجن لمدة ١٥ عاماً ، والطرد من فلسطين وقد خفف هذا الحكم بعد مدة بسيطة إلى السجن لفترة عام واحد ..

وفي ظل هذه الفترة التي شهدت تصاعد المقاومة العربية ، أخذت فكرة إقامة « تنظيم عسكري يهودي » يتولى حماية المستوطنات اليهودية تطرح نفسها بقوة في الأوساط الصهيونية .. وهنا اختلفت الآراء وتصارعت الأفكار ، ففريق ينادي بتكوين قوات صهيونية نظامية تعمل تحت أمرة القوات البريطانية وتسيطر على البلاد من خلال الإدارة البريطانية ، وفريق يعارض ذلك ويتمسك بتكوين قوات صهيونية خاصة بعيدة عن السيطرة البريطانية ، تأخذ طابعاً سرياً وتعمل على فرض سيطرتها التدريجية على البلاد إلى أن تتحقق هذه السيطرة الفعلية وتصبح أمراً يقبله البريطانيون ويخضع له العرب ..

والسمة البارزة التي جمعت بين هذين الفريقين المتعارضين دعوة كل منهما إلى اعتناق أسلوب القوة وإن اختلفا في وسيلة تكوين هذه القوة وأسلوب استخدامها .. فجابوتنسكي نادى بثلاثة أمور ضرورية لإقامة المستعمرات والبقاء فيها وهي :

أولاً : تعلم اللغة العبرية والتحدث بها ..
ثانياً : الضرب بقوة وقسوة ..
ثالثاً : إشاعة الإرهاب بين السكان العرب ..

وهكذا كانت دعوة جابوتنسكي من البداية ، دعوة إلى القوة المباشرة المكشوفة الإرهابية ، أما زميله بن جوريون ، فقد كان يخالفه الرأي فيقول :

« إن الهجرة والاستيطان على نطاق واسع سيخلقان حتماً الحقائق السياسية التي ستأتي بالاستقلال .. وينبغي علينا أن نتخذ الإجراءات والتدابير اللازمة للدفاع عن أنفسنا وأن نولي اهتمامنا لخلق اليهودي الذي لا يعتمد على شخص آخر ليدافع عن حياته في البلد الذي يملكه » ..

وبهذا كان بن جوريون منذ البداية داعية عنف هو الآخر .. ولكنه عنف يعتمد على المرحلية والواقعية ، وينفذ إلى أعراضه من خلال فرض الأمر الواقع .

وقد حمل بن جوريون مع عدد آخر من رفاقه الصهيانة لواء الدعوة إلى القوة العسكرية الصهيونية السرية ، وبرر ذلك بقوله : « ما لم يكن في استطاعتنا أن نعتمد على وسائل دفاعنا فسوف نعجز عن فتح آفاق جديدة .. إنه ينبغي علينا أن نتخذ الإجراءات والتدابير اللازمة للدفاع عن أنفسنا ، وبما أن ذلك يتعارض مع قانون الانتداب ، فقد كان علينا أن نقوم باتخاذ هذه الإجراءات بطريقة سرية . وقد تحددت الأهداف الكامنة وراء إنشاء القوة العسكرية الصهيونية فيما يلي :

- مواجهة الخطر العربي المتزايد الناتج عن اعتراض العرب على الاستعمار الصهيوني لفلسطين ..
- إتاحة أكبر قدر من حرية العمل والاستقلال في تنفيذ البرامج الصهيونية المتعلقة بالاستعمار والتوسع ..
- تشكيل قوة عسكرية تدريجياً يمكن الاعتماد عليها مستقبلاً في حالة حدوث اعتراض عربي عام ..

ويمكن القول أن دعوة التوسع والعنف لا تنسب لفريق دون آخر ، وغاية ما في الأمر أن هناك فريقاً كان يجاهر بهذه الدعوة ، وفريقاً آخر كان يؤثر العمل بسرية،ويعمل وفقاً لمخطط زمني ومرحلي دقيق يحقق للصهيونية غايتها ، وعلى رأسهم وايزمان في الخارج وبن جوريون في الداخل ، والذي تجسدت أراؤه عملياً في إنشاء « المنظمة العسكرية الصهيونية السرية » الهاجاناه ..

تأسيس الهاجاناة

تأسست الهاجاناه في ديسمبر ١٩٢٠ ، وخضعت طوال سنوات العشرينات للنقابة العامة للعمال اليهود – الهستدروت – حيث قامت بالإشراف عليها وتعيين لجنتها المركزية ، وفي عام ١٩٢٤ صدر دستور الهاجاناه ، الذي عرفها بأنها منظمة عسكرية سرية تستهدف الحفاظ على المجتمع اليهودي بواسطة الميليشيا الشعبية ونص دستورها على أن أبواب هذه المنظمة مفتوحة لكل عبري وعبرية يبلغان من العمر سبعة عشر عاماً وما فوق ..

وفي الثلاثينيات ، أنشئت المنظمة (ب) وخشية من حدوث انقسامات داخل الهاجاناه أو ولادة تنظيمات عسكرية منافسة ، اضطر المسئولون عن الهاجاناه إلى إحداث تغيير في طريقة قيادة منظمة الهاجاناه ، حيث نقل الإشراف عليها إلى الإدارة الصهيونية كممثلة لجميع النقابات الصهيونية بمشاركة الهستدروت وأوساط المدنيين ..

ومن الجدير بالذكر أن اسم « هاجاناه » – أي الدفاع – لم يطلق على هذه المنظمة السرية في بداية الأمر ، وإمعاناً في إخفاء طبيعتها العسكرية أطلق عليها اسم فرقة « الدفاع والعمل » ورغم ذلك فلم يستخدم هذا الاسم علناً ، وكان الاسم المتداول في السنوات الأولى لإنشائها هو « فرقة العمل » مع إغفال كلمة « الدفاع » .. وفيما بعد أصبحت « فرقة العمل » أكبر وأقوى ، وصارت تضم وحدات عسكرية نظامية عرفت باسم منظمة الدفاع – أي هاجاناه ..

وفي بداية إنشاء هذه المنظمة السرية ، كان هناك خلاف بين جابوتنسكي وزعماء « هاجاناه » حول مفهوم وطبيعة الدور الذي تؤديه « هاجاناه » ، إذا أصر زعماؤها على التمسك بالسرية التامة .. بينما تمسك جابوتنسكي بضرورة اعتراف حكومة الانتداب بالمنظمة حتى يتسنى لها القيام بمهامها على أكمل وجه .. وفي أكتوبر عام ١٩٢٢ زار جابوتنسكي فلسطين محاولاً الحصول على ترخيص رسمي لتنظيم « هاجاناه » وتدريبها في المدن والمستعمرات ، غير أن زعماؤها رفضوا ذلك ورفضوا تسليمه أي سلاح .

وفي نفس العام وجهت « هاجاناه » جهودها للحصول على أسلحة وذخائر ، وسميت هذه العملية باسم « ريجنيش » وقد أمكنها الحصول على كميات من الأسلحة عن طريق فرنسا ..

كان أول امتحان واجهته منظمة الهاجاناه بعد تأسيسها هو الانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطيني في يونيه ١٩٢١ خصوصاً في منطقة يافا وضواحيها ، ولم تقم الهاجاناه بدورها

المأمول حيث فشلت في مواجهة حالة النهوض الوطني الفلسطيني التي انعكست في تظاهرات واشتباكات مع سلطات الانتداب والتجمع اليهودي الاستيطاني في فلسطين – وكذلك فشلت في مستعمرة بتاح تكفا – أم المستوطنات اليهودية في صد الثوار الفلسطينيين الذين تمكنوا من حصار المستوطنة على المستوطنين واقتحام بعض أجزائها ولم يجلوا عنها إلا بعد وصول الفرقة الهندية العاملة في الجيش البريطاني مدعومة بطائرة عسكرية أخذت تقصف الثوار العرب بأوامر مباشرة من المندوب السامي البريطاني هربرت صمويل ..

وفي نوفمبر ١٩٢١ ، دخلت الهاجاناه تجربة أخرى مع عرب القدس حين تطورت تظاهرات الاحتجاج ضد وعد بلفور إلى اشتباكات بين العرب واليهود في المدينة .. ومع اندلاع الثورة الفلسطينية ١٩٣٦ توطدت العلاقة بشكل كبير بين الهاجاناه وسلطات الانتداب البريطانية إحساساً من الطرفين بالخطر المشترك المحدق بمصالحهما المشتركة ، وفي صيف ١٩٣٧ أقامت منظمة الهاجاناه « سرايا الميدان » كلفت بمهاجمة الثوار العرب ، وبأسلوب إرهابي ينفر منه العرب ، كالاعتداء على النساء .. وبعدها بعام أقام الضابط البريطاني أورد وينجت « سرايا النار » المعروفة أيضاً باسم « سرايا الليل الخاصة » لصالح منظمة الهاجاناه بغرض حماية الثوار الفلسطينيين ليلاً ، وأسفر تماثل المصالح في هذه الفترة عن إشراك البريطانيين لقوات الهاجاناه في الجهود الحربية البريطانية ضد الفلسطينيين ، والأخطر من ذلك سمحت سلطات الانتداب لمنظمة الهاجاناة بإقامة سلاح الحراسة ، وشرطة المستوطنات العبرية التي غدت قوة شرعية تابعة لها ، وقد تعززت بسرعة وبلغ عدد أفرادها سنة ١٩٣٩ حوالي ٢٠ ألف رجل يتوزعون على عشر كتائب ..

ويمكن القول أن أبرز سمات هذه الحقبة من الجانب الصهيوني هي التحول إلى العمل العدواني المباشر في غزو الأرض ، وفي نفس الوقت تطوير الجيش اليهودي الذي يحميه الانتداب ولا يكون مسئولاً عنه ، ورغم ذلك كله انبرى جابوتنسكي يعلن اعتراضه على السياسات العسكرية التي اتبعتها المنظمة الصهيونية ونفذتها الهاجاناة واسمتها بسياسة ضبط النفس ، وكان رأي جابوتنسكي الذي أعلنه في أعقاب الثورة العربية حين بدأت في عام ١٩٣٦ أن الحل الوحيد هو الإرهاب ضد كل من العرب والإنجليز معاً ..

اتسـل .. تكليف بالإرهـاب

إن الأحداث تؤكد أن كافة المنظمات الإرهابية الصهيونية ، كانت تلقى تأييداً من الوكالة اليهودية ، بل أن هذه المنظمات كانت تعمل وفق مخطط أساسي ، ولكل منظمة دور فى « تراجيديا الإرهاب الصهيوني » ، وهنا يقال أن الخلاف الذي نشأ داخل صفوف الحركة الصهيونية ، وانتهى بانفصال جابوتنسكي عنها وتكوين المنظمة الصهيونية الجديدة عام ١٩٣٥ ، قد انعكس أيضاً على المنظمة العسكرية الهاجاناة .. وتبلور في ظهور جناحين متعارضين داخلها ، يمثل الجناح الأول وايزمان وبن جوريون ويؤيده معظم زعماء يهود فلسطين ، وينادي بسياسة الضبط .. أما الجناح اليميني المعارض فقد ظهر في صفوف الجيل الأصغر من الشبان المتعصبين الذين اعتبروا هذا التحفظ نوعاً من التسليم لكل من البريطانيين والعرب ، وتزعموا استراتيجية المقاومة ، وهم جميعاً ممن ينتمون إلى حركة الشباب جابوتنسكي « بيتار » الذين حاولوا أن يفرضوا آراءهم وسيطرتهم على منظمة هاجاناة ولكنهم فشلوا في ذلك ..

وهكذا انشقت جماعة التصحيحيين عن الهاجاناة في أبريل عام ١٩٣٧ ، وكونت مع منظمة هاجاناة منظمة عسكرية جديدة تحت اسم « أرجون زفاي ليومي » ــ أى المنظمة العسكرية الوطنية – ، وكان يطلق عليها أحياناً اسم « اتسل » التي وصفها مناحم بيجين زعيمها فيما بعد بقوله : « انها كانت بداية ظهور القوة العبرية تحت زعامة قائدها العظيم دافيد راتسيل ومساعده أبراهام شترن » ..

وهكذا بدأت الهجمات الأولى ضد هؤلاء الذين يريدون تدميرها ، فقاموا بجمع السلاح وإعداد المدربين لتحطيم سياسة ضبط النفس التي تبناها الزعماء الجبناء اليهود في مواجهة الهجمات العربية ولتحطيم الأبواب المغلقة في وجه آلاف من الشباب[1].

وبذلك استطاعت « الأرجون » أن تفرض وجودها المستقل عن الهاجاناة وأن تبدأ في ممارسة فلسفتها العملية القائمة على الإرهاب والتي تتخذ القتل والبطش شعاراً لها ، ومع بداية ظهور الأرجون أو اتسل سعى جابوتنسكي إلى رعايتها وتدعيمها بالسلاح ، وقد توصل في عام ١٩٣٧ إلى اتفاق مع بولندا على إمداد الأرجون بالمساعدات العسكرية الممكنة وتدريب المقاتلين تمهيداً لإرسالهم إلى فلسطين ..

والأرجون ، أو اتسل ، هي بؤرة الحقد والثأر بين المنظمات الإرهابية الصهيونية ، يقول مناحم بيجين أن اتسل أو الأرجون قامت على أساس أن كمية الدم المسفوكة هي الاختيار الوحيد التاريخي وليس مهماً جوهر هذا الدم » ..

---

(١) التحدي – مناحم بيجين .

ما أبشع ذلك الأساس الذي أقيمت عليه تلك المنظمة الإرهابية .. لقد نجحت الوكالة اليهودية أن تجمع أكثر اليهود حقداً ، وأكثر اليهود عطشاً للدم ، وأكثر اليهود طلباً للثأر ، جمعتهم في منظمة واحدة ، وبدأ هؤلاء يمارسون أعمالهم الإرهابية .. وكانت التعليمات إلى أفراد هذه العصابة كما يلي :

- اقتناص أي فلسطيني ، مهما كان سنه أو جنسه ، أي إذا كان طفلاً أو شيخاً أو امرأة أو شاباً ، المهم أن يقتل هذا الفلسطيني ..
- اضرب واهرب .. واضرب بقوة وقسوة ..
- إلقاء القنابل في التجمعات العربية ، والفرار فوراً كالملقاهي التي يرتادها العرب .
- وضع عبوات ناسفة في أسواق الخضار بالمدن الكبرى كيافا وحيفا والقدس .
- نصب الكمائن للأتوبيسات العربية وقتل من فيها ..

وقامت هذه المنظمة بتلك العمليات الإرهابية ، والتي حولت المدن الفلسطينية إلى حرائق واغتيالات ونسف وتدمير ..

ومع تزايد نشاط الأرجون الإرهابي الموجه ضد العرب تحركت سلطات الانتداب البريطانية وأخذت تحاكم من تلقي القبض عليه وتصدر أحكاماً مختلفة كان من بينها حكم الإعدام ، ومن الملاحظ أن الوكالة اليهودية وقيادة الهاجاناة كانتا تبذلان جهودهما الكبيرة وتقدمان مساعيهما الحميدة عند البريطانيين لتخفيف الأحكام الصادرة على الرغم من معارضتها الظاهرة لنشاط الأرجون .. وفي النصف الثاني من عام ١٩٣٧ استمرت الأرجون في القيام بعمليات إرهابية موجهة ضد المدنيين العرب تعد بالعشرات ، وكان من أبرزها وضع كميات من المواد المتفجرة الموقوتة وسط التجمعات العربية في المدن الفلسطينية الرئيسية ذهب ضحيتها نحو مئة وسبعين شهيداً ومئات آخرين أصيبوا بجراح ، في الوقت الذي كانت فيه الهاجاناة تساعد القوات البريطانية ، بناء على اتفاق تام لاخماد الثورة الفلسطينية ..

والجدير بالذكر أنه في هذه الفترة ، ورغم أن الهاجاناة كانت تعلن التزامها بسياسة ضبط النفس ، إلا أنها في الواقع لم تكن مقيدة بها تماماً ، إذ كانت تقوم بين الحين والآخر بالاصطدام مع الثوار الفلسطينيين خارج نطاق المستوطنات ومع مرور الوقت ونمو قوتها ابتدع قادة الهاجاناة لهذه السياسة معاني جديدة تقوم أساساً على المطاردة والتحول من الدفاع السلبي إلى الهجوم خاصة على العرب ..

* * *

مع تلبد أجواء أوربا بغيوم الحرب ، الأمر الذي دفع البريطانيين لتغيير سياستهم تجاه العرب في محاولة لكسبهم أو على الأقل لمنع احتمال انبعاث الثورة الفلسطينية في حال

اندلاع الحرب ، وبدا ذلك واضحاً في مؤامرة المائدة المستديرة الذي عقد في لندن وحضرته وفود من الدول العربية وعن الفلسطينيين ووفد عن الوجود اليهودي في فلسطين ، ومن مؤشرات التبدل في السياسة البريطانية في ذلك الوقت تصريح وزير المستعمرات البريطاني مالكوم ماكدونال ، أثناء انعقاد المؤتمر الذي اعتبرته الحركة الصهيونية بمثابة نكسة حلت بها والقائل بضرورة إلغاء الانتداب وإقامة دولة فلسطينية متحالفة مع بريطانيا تضمن فيها حقوق خاصة لليهود وقد أدانت الأرجون هذا التواجد البريطاني واعتبرته دليلاً على خيانة بريطانيا .. واتبعت ذلك بأعمال إرهابية موجهة ضد التجمعات السكانية العربية ، وقررت قيادة المنظمة اعتبار يوم ٧ / ٢ / ١٩٣٩ يوماً أسود وجرى خلال هذا اليوم وضع متفجرات في محطة القطار في القدس وفي سوق الخضار في حيفا وذهب ضحيتها ٢٧ شهيداً ، ٢٩ جريحاً ..

* * *

في ١٧ مايو ١٩٣٩ نشرت الحكومة البريطانية وثيقة صدرت عن البرلمان البريطاني أطلقت عليها الكتاب الأبيض ، والذي تناول موضوعات إنهاء الإنتداب البريطاني وإقامة دولة مشتركة وتحديد الهجرة اليهودية وتحديد بيع الأراضي في فلسطين .. وقبل مرور وقت طويل وجدت سلطات الانتداب أن عليها مواجهة اتساع أعمال الإرهاب التي قامت بها الجماعات الصهيونية ضد سياسة الكتاب الأبيض ، وكان أحد أشكال الأعمال الصهيونية هو الإسراع بشراء الأراضي أساساً في المساحات العربية بهدف توسيع حدود الدولة اليهودية المستقبلة .. وقد قسم نظام بيع الأراضي الذي نشر في عام ١٩٤٠ استكمالاً للكتاب الأبيض قسم البلاد إلى ثلاثة أجزاء على النحو التالي :

(أ) ففي الجزء الأكبر – وهو الذي يشمل ٤ر٦٣٪ من مساحتها – منع شراء اليهود للأرض ..

(ب) الجزء الثاني : ٦ر٣١ ٪ ـــ كان البيع فيه محدوداً ..

(ج) الجزء الثالث : وهو ٥٪ – فقد كان حراً . إلا أن المنظمات اليهودية قد تحايلت على نظام بيع الأراضي ، وتم لها شراء مساحة من الأرض تبلغ ٢٧٥ر٠٠٠ دونم في الجزئين الأول والثاني .. إلى جانب شراء الأراضي بصورة غير مشروعة .. ودأبت المنظمات الصهيونية على تنظيم هجرة أعداد من اليهود خلسة إلى فلسطين ، ومن وقت لآخر كانت السفن القديمة المكتظة بالمهاجرين تغادر موانىء شرق أوربا وتبسط أشرعتها مبحرة نحو الأرض العربية بفلسطين ، وكان ممثلو الوكالة اليهودية في لندن وواشنطن وفي عدد من دول أوربا الأخرى يقومون بالضغط على حكومات تلك البلاد بشأن ركاب تلك السفن ، وحتى يمكن لهم دخول أرض فلسطين تحت دعاوى مزيفة وشعارات إنسانية واهية ..

أما الجانب الثالث من تحركات المنظمات الصهيونية فيدخل تحت باب أعمال العنف والإرهاب المباشر .. التي راح ضحيتها عرب إلى جانب بعض البريطانيين فالهاجاناة – وتعبيراً عن رفضها لسياسة الكتاب الأبيض – قامت بعملية تخريبية ضد محطة الإذاعة التابعة لسلطات الإنتداب ، وقامت بعملية إرهابية ضد السكان العرب في قريتي لوبيا ، وبلد الشيخ ، وقتلت عدداً من سكانها الآمنين ، وحرصت على عدم نسبة هذه العمليات إليها كي لا تتأثر في علاقاتها مع السلطات البريطانية ..

* * *

أما الأرجون ، فقد قامت في اليوم الذي نشر فيه الكتاب الأبيض بتظاهرات صاخبة في وسط تل أبيب ، واحتل خلالها المتظاهرون مباني حاكمية القضاء ورفعوا عليها العلم العبري ، وقاموا بحرق سجلات مكتب تسجيل الأراضي بعد أن ألقوها على قارعة الطريق وهم يرددون شعارات تندد بخيانة بريطانيا .. إلى جانب النشاط التحريضي المحموم ، انتهجت الأرجون هذه المرة خطين في نشاطها العسكري ، إذ لم يعد المواطنون العرب هم المقصودون وحدهم بعملياتهم الإرهابية بل أصبحت الممتلكات العامة أيضاً تشارك التجمعات العربية الآمنة في تلقي الضربات ولو بشكل أخف ، فقد قررت قيادة المنظمة غداة نشر الكتاب الأبيض توجيه ضرباتها ضد المنشآت البريطانية ضربات ضد بعض المؤسسات الحكومية مثل محطة الإذاعة وخطوط التليفونات وقضبان السكك الحديدية مع الحرص على اقتصار الأضرار على الممتلكات العامة فقط ..

وعلى الرغم من أن سلطات الأمن البريطانية استطاعت القبض على عدد من عناصر الأرجون في صيف ١٩٣٩ ، إلا أن هذه الحملة من الاعتقالات لم تؤثر على نشاط الأرجون ضد العرب والذي لم يخرج عن إطار قتل المارة الأبرياء وإلحاق أكبر عدد ممكن من الخسائر وسط التجمعات العربية في الأسواق ، أو اقتناص أي عربي يصادف وجوده في المستوطنات والتجمعات اليهودية ، ومن أبرز عملياتها في هذه الفترة ، عملية سينما ركس في القدس ، وعملية تفجير الحمار المحمل بالمواد الناسفة في سوق الخضار في حيفا وقد أسفرت هاتان العمليتان عن استشهاد العشرات وإصابة الكثيرين بجراح .. ومن أبرزها أيضاً عملية ثالثة جرت ضد قرية بيرعدس العربية ، حين هاجمت مجموعة من عناصر المنظمة القرية في محاولة للاستيلاء على القرية العربية .. ولم تتمكن المجموعة من دخول القرية فاكتفت بمهاجمة منزل عربي تحت جناح الظلام قتلت فيه أربع نساء وأصابت طفلاً بجراح ، وقد استمرت الأرجون في القيام بهذا النوع من العمليات على الرغم من قلق الرأي العام اليهودي داخل فلسطين المحتلة ..

* * *

الهاجاناة أيضاً وعلى الرغم من إعلان قادتها الالتزام بسياسة ضبط النفس .. نفذت عدة عمليات ضد العرب وضد المنشآت البريطانية ، وقد نفذت عناصرها بناء على تعليمات المنطقة الشمالية عملية إرهابية ضد السكان الآمنين في قرية بلدة الشيخ فخطفت خمسة أشخاص من أهالي القرية وقتلتهم وأشفعت ذلك بعملية أخرى شبيهة إلى حد كبير بعملية بيرعدس حين استقرت مفرزة من قواتها بمنزل عربي يقع على أطراف قرية لوبيا العربية وألقت قنابلها اليدوية داخله عن طريق النافذة الأمر الذي تسبب في مقتل عدد من العرب بما في ذلك النساء والأطفال وهم نيام ..

وهكذا تضافرت جهود العناصر الصهيونية بأطرافها المختلفة في فلسطين لشن حرب لا هوادة فيها، كان غرضها الأساسي فرض المشكلة على جميع الأطراف المعنية وإجبارهم على البحث عن حل إيجابي ترضى عنه الصهيونية ، وحمل بريطانيا على التخلي عن سياستها المعلنة في الكتاب الأبيض ، غير أن نشوب الحرب العالمية الثانية في ٣ سبتمبر ١٩٣٩ ، دفع زعماء الصهيونية إلى وقف أعمال العنف والإرهاب والكف عن إحراج بريطانيا أثناء حربها مع العدو المشترك ألمانيا النازية .. ورغم توقف الأحداث الدموية في البلاد ، إلا أن جو القتال والحرب استمر سائداً ، وإن لم تتح ظروف الحرب استئناف هذا القتال ، إلا أنه كان من الواضح أنه سوف يتجدد بمجرد انتهاء الحرب إذا لم يتيسر الوصول إلى حل سياسي يمنع نشوبه .. ولم يكن هذا الحل ممكناً ، فقد جمعت الصهيونية كلمتها ووحدت هدفها نحو خلق الدولة اليهودية بالقوة .. وهو ما أشار إليه بن جوريون في اجتماعه بعد خمسة أيام من نشوب الحرب – مع قادة الهاجاناة قائلاً : « **لقد تمخضت الحرب العالمية الأولى عن وعد بلفور أما الحرب العالمية الثانية فلابد أن تأتي بالدولة اليهودية** » ..

* * *

ومن هنا جاء تركيز الحركة الصهيونية على ضرورة إنشاء « قوة مقاتلة يهودية » بصفة رسمية وبتأييد كامل من الحكومة البريطانية ، وفي مايو ١٩٤٠ توجه بن جوريون إلى لندن حيث قدم إلى الحكومة البريطانية التي يرأسها ونستون تشرشل خطة إنشاء الجيش اليهودي وشملت الخطة عدة نقاط كالتالي :

١ – عدم تعرض القوات البريطانية في فلسطين لقوات الهاجاناة السرية وإصدار التعليمات اللازمة لذلك ..

٢ – الإسراع بإنشاء قوتين مقاتلتين من اليهود إحداهما من يهود فلسطين وأخرى من يهود الشتات ..

٣ – إنشاء مصنع للأسلحة في فلسطين ..

٤ – إعداد مائتي يهودي فلسطيني من الضباط وضباط الصف ليشكلوا كادر القيادة اللازم للجيش اليهودي ..

وفي ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ وافقت الحكومة البريطانية على إنشاء القوة المقاتلة اليهودية من عشرة آلاف رجل ، غير أن الحكومة البريطانية لم تف بوعدها حتى لا تغضب حلفاءها العرب وقت الحرب ، مما دفع بن جوريون إلى التحول إلى الولايات المتحدة حيث بها أقوى حشد لليهود خارج فلسطين وأكثر اليهود نفوذاً .. ورغم ذلك لم تتوقف جهود قادة الحركة الصهيونية في الضغط على بريطانيا للموافقة على إنشاء القوة اليهودية ، وبعد أشهر طويلة من المطالبة المستمرة أعلنت الحكومة البريطانية في أغسطس ١٩٤٢ موافقتها على التالي :

- إنشاء كتائب مشاة يهودية – وعربية – مستقلة للخدمة بالشرق الأوسط ..
- التوسع في إنشاء قوة الشرطة اليهودية الخاصة والتي كانت تمثل الجيش الشرعي للهاجاناة ..
- تجنيد قوة إضافية من ألفين وخمسمائة رجل ، على أن يقدم قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط الضباط اللازمين للتدريب فضلاً عن الأسلحة والمعدات اللازمة لذلك ..

ومنظمة إرهابية جديدة

في يونيه ١٩٤٠ ، أي بعد مضي حوالي عشرة أشهر على اندلاع الحرب الثانية ، حدث انشقاق خطير في الأرجون ، نتج عنه ولادة منظمة جديدة حملت في بداية تكوينها اسم « لوصامي حيروت إسرائيل » أي المقاتلون من أجل حرية إسرائيل ، وأخذت تعرف باسم « ليحي » . وبعد تأسيسها انشغلت المنظمة الجديدة بالإعداد لعملياتها العسكرية التي استهلتها بأعمال السطو ، كان أهمها السطو على البنك البريطاني الفلسطيني في تل أبيب ، وتمكنوا من سلب ٥٠٠ جنيه فلسطيني والإفلات بها بعد أن وضعوا متفجرات صوتية حول البنك أثار انفجارها الهلع والفوضى بين صفوف الموظفين الذين تركوا مع الجمهور أماكنهم بحثاً عن ملجأ يقيهم ، وبدعم من المبالغ المسروقة أخذت المنظمة في العمل لتجنيد أعضاء جدد في الدعاية لأهداف المنظمة ..

في هذه الأثناء واصلت الأرجون من جانبها القيام بأعمال عنف وإرهاب ضد مؤسسات حكومة الانتداب على فترات متباعدة نسبياً ، ففي ١٧ مايو ١٩٤٤ هاجمت مجموعة من عناصرها محطة الإذاعة في رام الله – ولم تتمكن من بث بيان لها بسبب عطل فني ، واكتفت برفع العلم العبري عليها وفرت هاربة ، وعادت في أغسطس وهاجمت مقر الاستخبارات في يافا ومحطة شرطة في تل أبيب ، واستولت على بعض الأسلحة ثم أقدمت في أواخر سبتمبر على مهاجمة أربعة مراكز للشرطة في أن واحد في حيفا ، بيتب رجن ، قطرة وقلقيلية بغرض الاستيلاء على الأسلحة ، ومع حلول أكتوبر هاجمت مجموعة تابعة للمنظمة مستودعات للأقمشة الحكومية في وسط تل أبيب وتمكنت من الإستيلاء على بضائع قيمتها مائة ألف جنيه فلسطيني ، باعت قسماً منها ، واستخدمت القسم الآخر في الأغراض الدعائية ..

تنشيط الإرهاب لقيام الدولة

ما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في عام ١٩٤٥ حتى نشطت القوى الصهيونية في السعي نحو تحقيق هدفها وغايتها المرحلية بفرض الدولة اليهودية .. وفي ٢٢ مايو ١٩٤٥ – بعد انتهاء الحرب بأسبوعين – قدم وايزمان إلى رئيس وزراء بريطانيا مذكرة طالباً إصدار قرار سريع بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود والسماح بنزوح ١٠٠ ألف يهودي من أوربا إليها ، غير أن تشرشل طلب الانتظار حتى ينعقد مؤتمر الصلح .. أما بن جوريون فقد ذهب إلى الولايات المتحدة للحصول على أكبر قدر من المساعدات العسكرية وانحصرت أهدافه هناك في الحصول على السلاح .. الحصول على مصانع للأسلحة وتجنيد متطوعين من يهود أمريكا للحرب ضد العرب في فلسطين ..

أما بريطانيا فقد حاولت أن تشرك معها الولايات المتحدة في مسألة معالجة مشكلة فلسطين فأعلنت في نوفمبر ١٩٤٥ اتفاقها مع الولايات المتحدة على إيفاد لجنة تحقيق مشتركة لدراسة المسألة الفلسطينية حتى تتمكن الحكومة البريطانية من إعداد حل دائم لتقديمه إلى هيئة الأمم المتحدة وذهبت اللجنة إلى فلسطين في يناير ١٩٤٦ ثم نشر تقريرها في أبريل من نفس العام واشتمل على عدة توجيهات كما يلي :

١ – عدم تقسيم البلاد إلى دولة عربية وأخرى يهودية بل تبقى فلسطين تحت الانتداب وتخضع للوصاية بموافقة الأمم المتحدة ..

٢ – السماح لمائة ألف يهودي من أوربا بالهجرة إلى فلسطين ..

٣ – سن القوانين التي تنظم ملكية الأراضي على أساس حرية البيع والشراء والتأجير ..

إلا أن القادة الصهيونيين رفضوا ما جاء في التقرير لأنه في نظرهم اعترض على مبدأ قيام دولة يهودية في فلسطين ..

وأصدر بن جوريون أوامره السرية للهاجاناة باستمرار الهجرة غير الشرعية والعمل على إنشاء المستعمرات وإعلان العصيان المدني بعدم دفع الضرائب والإضراب عن العمل والخروج في مظاهرات ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل انتشر الإرهاب الصهيوني في فلسطين بشكل لم يسبق له مثيل ، حيث اتحدت المنظمات الصهيونية العسكرية الإرهابية في عمل مشترك وتكونت قوة مشتركة من الهاجاناة والأرجون وليحي لشن حرب العصابات ضد البريطانيين وضد العرب ، ووزعت الأوامر فيما بينها فتولت الهاجاناة مهاجمة المنشآت العسكرية والأهداف الحيوية ، أما الأرجون فكانت مختصة بأعمال التخريب والنسف والتدمير بينما أخذت عصابة ليحي على عاتقها أعمال القتل والاغتيال ..

وقد عاشت التجربة الوحدوية بين المنظمات الثلاث فترة تسعة أشهر ، وقد دشنت بعملية عسكرية كبيرة اقتصرت أضرارها على الممتلكات دون أن تحدث خسائر تذكر في الأرواح وافتتحت بعملية ذهب ضحيتها عشرات القتلى ، وكان أول نشاط لحركة الإرهاب الشاملة للضغط على السياسة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية هو توجيه ضربة لخطوط السكك الحديدية في فلسطين في أول نوفمبر ١٩٤٥ ، ونفذتها قوات البالماخ التابعة للهاجاناة ، وفي الليلة نفسها نفذت مجموعة أخرى من القوات نفسها مهمة تخريب ثلاث سفن في ميناءي يافا ، حيفا دون الاصطدام مع البريطانيين وكان ذلك بعلم وتعليمات من بن جوريون ..

كما نفذت الأرجون وليحي في الوقت نفسه عملية مشتركة استهدفت منشآت السكة الحديد في اللد ، وفي الليلة التالية قامت ليحي بمحاولة هجومية على معامل تكرير البترول في حيفا وأسفرت المحاولة عن مصرع أحد عناصرها من جراء انفجار الشحنة الناسفة أثناء معالجته لها ..

واستمرت الأعمال الإرهابية ، حين وجهت ضربة ضد محطتي الشرطة في نمفعات أولفا وسيدنا على لقيامهما بجهود منع تسلل اليهود إلى فلسطين ، وبعد ذلك بعدة أيام نفذت الأرجون عمليات مشتركة ضد مباني الشرطة في القدس ويافا .. وأسفر عن ذلك مصرع ضابط بريطاني وتسعة من رجال الأمن البريطانيين والعرب وعن مصرع أحد

عناصر الأرجون ، وفي الوقت نفسه نفذت مجموعة من ليحي عملية استهدفت الحصول على الأسلحة وتمكنت من مفاجأة البريطانيين في معسكر صغير يقع بالقرب من تل أبيب واستولت على كميات كبيرة من الأسلحة بعد أن أصيب عدد من أفرادها بجراح ولقي ضابط بريطاني مصرعه ..

التـدويل .. والتقسـيم

في أواسط فبراير ١٩٤٧ أعلنت بريطانيا عن اعتزامها إحالة القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة ، وبالفعل تقدمت بطلب للجمعية العامة في أوائل مارس لعقد جلسة طارئة بغية انتخاب لجنة خاصة من بين صفوفها لدراسة القضية الفلسطينية ، .. وبالفعل اجتمعت الجمعية العامة في أبريل ١٩٤٧ في دورة خاصة وقررت تكوين لجنة سمتها اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة ، وفي أغسطس انتهت اللجنة من دراستها للوضع في فلسطين ، ونشرت تقريرها في ١٩٤٧/٨/٣١ ..

وفي التقرير تم صياغة توصيتين : الأولى عرفت بتوصية الأغلبية وتضمنت إنشاء دولة عربية وأخرى يهودية مستقلتين بعد فترة انتقال مدتها عامان في سبتمبر ١٩٤٧ ، أما توصية الأقلية فاقترحت إنشاء دولة فلسطينية فيدرالية مستقلة بعد نهاية فترة لا تزيد على ثلاث سنوات ..

وفي ٢١ نوفمبر ١٩٤٧ اجتمعت الجمعية العامة ، وخلال الاجتماع للتصويت على اقتراح التقسيم تمت الموافقة عليه بأغلبية ٣٢ صوتاً بينها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ..

وفي الفترة التي شهدت حضور اللجنة التابعة للأمم المتحدة لدراسة الوضع في فلسطين كانت المنظمات الإرهابية الصهيونية تقوم بأعمالها الوحشية على قدم وساق مستهدفة السكان العرب بالأساس وطردهم من أراضيهم ، وكانت الهاجاناة تركز أعمالها على عمليات الاستيطان ولا سيما في المناطق القليلة الوجود اليهودي مثل صحراء النقب ومناطق الخليل والسهل الساحلي الفلسطيني وفي الجليل دون أن تواجه بأية مقاومة من قبل سلطات الانتداب وذلك على الرغم من احتجاج العرب ..

* * *

وقد واجهت إحدى المستوطنات مقاومة من القرويين العرب الذين هبوا للدفاع عن أرضهم وقد حدث ذلك عندما استفاق أهالي قرية الزاوية القريبة من الحولة في ٣ نوفمبر ١٩٤٦ على مستوطنة جديدة نبتت فوق أرضهم تحمل اسم « فؤوت مردخاي معززة

بحراسات يهودية مسلحة تحسباً لأية مقاومة من جانب أهل القرية ، بينما كانت الجرارات تقوم بتمهيد أراض تخص القرويين لصالح الواقع الجديد ، ولم يجد الأهالي من وسيلة للدفاع سوى مهاجمة الجرارات بالعصي ، إلا أن الحراس اليهود ردوهم على أعقابهم ثم عاود العرب ، وبالعصي محاولتهم للمرة الثانية منع الإستيلاء على أراضيهم وصدوا ثانية بواسطة الحراسات اليهودية التي قامت هذه المرة باقتحام القرية بأسلحتها النارية ، الأمر الذي دفع القرويين العرب في المناطق المجاورة لنجدة القرية بالسلاح وحدث اشتباك مع حراس اليهود أسفر – قبل تدفق قوات الأمن البريطانية – عن مصرع مستوطن وإصابة أحد عشر آخرين بجراح واستشهاد ثلاثة من أبناء القرية ..

* * *

كان من بين الأهداف التي ركزت عليها الأرجون وليحي محطات السكة الحديد وخطوطها وخطوط الهاتف والتلغراف والمكاتب الحكومية ومحطات الشرطة والسيارات العسكرية ، وقد تعرضت محطات السكة الحديد – التي تقع في مناطق عربية – وخطوطها لهجمات عدة عن طريق غرس مواد متفجرة فيها ، وكانت محطة حيفا أول هدف شهد هذا النوع من النشاطات وذلك حين وضعت مجموعة من الأرجون مواد متفجرة بالقرب من شباك التذاكر ، لتبلغ الشرطة بعد ذلك هاتفياً عن وجودها ، بيد أنها انفجرت قبل التمكن من إزالتها وأحدثت أضراراً في الممتلكات ، وتعرضت محطة السكة الحديد في رأس العين في ١٠ نوفمبر،للعمل نفسه ، كما تعرضت السكة الحديد في القدس لعملية مشابهة حين وضعت مجموعة من الأرجون حقائب ناسفة داخل المحطة أسفر انفجارها عن مصرع ضابط بريطاني حاول إزالة الحقائب عقب تحذير هاتفي ..

إلى جانب المحطات تعرضت خطوط السكة الحديد وفي أماكن مختلفة لأعمال تخريبية متعددة أسفر عنها حدوث أضرار كبيرة في الخطوط وفي عدد من العربات أدى إلى مصرع ضابطين بريطانيين وإصابة عدد آخر بجراح وإحداث خلل في حركة المواصلات .. وفي مطلع مارس ١٩٤٧ هاجمت الأرجون أهدافاً متعددة في أماكن مختلفة من المدن الفلسطينية بغية أحداث خسائر في الممتلكات والأرواح معاً ومن أبرز الأهداف التي تعرضت هجماتها رد للضباط بالقدس ، تمكن عدد من أفراد المنظمة من دخوله متنكرين في زي رجال الأمن وخلفوا وراءهم دون أن يوجهوا أي تحذير داخل الغرف مواد ناسفة أسفر انفجارها عن مصرع اثنى عشر شخصاً من بينهم خمسة عسكريون أما الآخرون فكانوا من الموظفين ..

ونفذت ليحي في حيفا عملية استهدفت معامل تكرير البترول حيث استمرت ألسنة اللهب مشتعلة لفترة طويلة ، كما واصلت الأرجون نشاطها وقامت بعدة عمليات ، من بينها عملية استهدفت نسف مكاتب الاتصال العامة في القدس في أوائل أغسطس ذهب ضحيتها ٣ من أفراد الشرطة .. وأخرى في حيفا في أوائل سبتمبر استهدفت مقر الشرطة هناك وأسفر انفجار السيارة الملغومة التي وضعت بالقرب منه عن مصرع ١٣ شخصاً من بينهم تسعة من أفراد الشرطة وعن إصابة ٥٣ آخرين بجراح ..

بعد صدور قرار التقسيم أعلنت بريطانيا أنها ستنسحب من فلسطين في أقصر وقت ممكن ، أعلنت ذلك وهي تعلم تماماً مدى قوة التنظيم اليهودي في فلسطين وما وصل إليه من رسوخ بفضل مساعداتها ومعاونتها . وكان للصهاينة القوة السياسية والعسكرية للانقضاض على الأرض العربية أما العرب فلم يكن من المسموح لهم أن يمارسوا أي نشاط مماثل أو يقيموا أي تنظيم سياسي أو يحملوا السلاح للدفاع عن أنفسهم وحقوقهم !!

وقد أخذت الصهيونية وبجهد متواصل تعبيء صفوفها العسكرية وجميع قوى منظماتها الإرهابية وتنسق بين أنشطتها ، ووضع الخطط للقضاء على عروبة فلسطين وتحدد لخططها هذه اتجاهاً استراتيجياً معيناً هدفه إجبار العرب على ترك أراضيهم وممتلكاتهم وإرغامهم على النزوح من فلسطين ، واتخذ هذا الالتجاء الاستراتيجي شكل حرب الإبادة والإرهاب كوسيلة للاستيلاء على الأرض والتخلص من الشعب العربي في فلسطين في نفس الوقت ، ثم الادعاء بعدئذ بأن العرب هم الذين غادروا البلاد بمحض إرادتهم ولم يجبرهم أحد على ذلك ، حتى قبل أن يبدأ القتال الفعلي بل وقبل إعلان الدولة اليهودية ، وشهدت أرض فلسطين والقرى العربية الآمنة أكبر وأقسى حرب إبادة للفلسطينيين سواء عن طريق القتل أو عن طريق الحرب أو عن طريق الإرهاب بكل وسائله لإجبار العرب على النزوح ..

* * *

ولقد اتخذت أشكال **الإرهاب الصهيوني في مرحلة قبل قيام الدولة مباشرة عدة أشكال** [٢]

- تكثيف العبوات الناسفة في أماكن تجمع العرب كالأسواق ..
- اغتيال المارة العرب ..
- هدم المنازل العربية ..
- الاعتداء على النساء العربيات ، وإشاعة هذا على نطاق واسع مع التهويل في ذلك ، لعلمهم بمدى حرص العرب على أعراضهم ، وهذا سيؤدى إلى نزوح أكبر عدد من

القرويين الفلسطينيين ، ورغم أن حوادث الاعتداء على الأعراض لم تكن كثيرة ، إلا أن اليهود أنفسهم ، قد أشاعوا وسط القرى العربية قصصاً دامية لم تحدث ، وقد أدى هذا إلى ترويع وإرهاب سكان القرى في النزوح الأول من فلسطين .

- الإغارة على القرى العربية عسكرياً ، وإقامة المذابح البربرية للأطفال والشيوخ والنساء ، والتمثيل بأجسادهم ، وبقر بطون الحوامل ، المهم أن تسمع المجزرة بكل قسوتها إلى بقية القرى ، حتى يمكن إشاعة الرعب .. والإرهاب في نفوس بقية القرى ، والإسراع بالخروج قبل أن تصل فرق الرعب والإرهاب الصهيونية ..

عشية صدور قرارات التقسيم ومن احتمال تعرض المجتمع اليهودي إلى حرب أهلية ، وجدت الهاجاناة أن خير وسيلة لإطفاء الحريق في الوسط اليهودي تتمثل في اشتعال حرائق في الوسط العربي على شكل جرائم بشعة اقترفتها بحق عدد من العائلات العربية .. وقد تمثلت هذه المهمة بالعمل على ترسيخ الخوف من « الخطر المرتقب » المتمثل بالعرب في أذهان الأعضاء والأنصار وتضخيمه والتهويل من شأنه وقد وجدت الهاجاناة في سقوط عدد من اليهود قتلى نتيجة حوادث فردية مع عناصر عربية تعود في معظمها لأسباب غير سياسية – كأعمال السطو التي يمكن أن يذهب ضحيتها عرب أو يهود – ضالتها لتحريك الصراع العربي الصهيوني من ركوده وتسعيره بهدف إطفاء الحرائق في الوسط اليهودي ..

* * *

ففي ٢٠ مايو ١٩٤٧ هاجمت مجموعة تابعة لها مقهى بلدة فجة العربية بالقنابل التي أسفر انفجارها عن مصرع ثلاثة من العرب الذين ردوا على النار وتمكنوا من قتل رئيس المجموعة . وتابعت الهاجاناة أعمالها باقتحام المنازل العربية داخل بساتين البيارات عنوة تحت جنح الليل بحثاً عن العرب وقد قتلت بهذه الطريقة شخصين على دفعتين بعد أن اقتادتهما من منزليهما ، وتوجت أسلوبها هذا في منتصف أغسطس بجريمة فاقت في بشاعتها جرائم الأرجون في بيرعدس ، وذلك حين أقدمت مجموعة من عناصرها بعد منتصف الليل على تطويق بيت لعائلة عربية داخل بيارة أبو لبن الواقعة في ضواحي يافا وبالقرب من مستوطنة بني براك بحجة أن البيت يستخدم كوكر للعصابات العربية علماً بأنه لم يكن فيه سوى الأم وصغارها الستة الذين لقوا مصرعهم جميعاً بعد نسف البيت على من فيه ..

* * *

لم توقف الهاجاناة هذا النمط من النشاط فقد أعدت خطة انتقامية كبيرة ضد بلدة الشيخ موسى كلفت بتنفيذها قوات من البالماخ ولكنها ألغيت لأسباب سياسية ..

وفي أوائل أكتوبر ١٩٤٧ انفردت مجموعة من البالماخ بأحد البيوت العربية بالقرب من رأس العين انتقاماً لمصرع يهوديين ، وقتلت بداخله ثلاثة أشخاص من بينهم امرأة أصيب طفلها بجراح ، كما جرت في الشهر نفسه عمليات إرهابية متفرقة مشابهة في مناطق مختلفة من بينها منطقة النقب حين تعرض عدد من أصحاب الأراضي العربية بسبب خلافاتهم مع الوكالة اليهودية حول مرور أنابيب المياه إلى المستوطنات المقامة حديثاً في أراضيهم إلى اعتداءات قوات البالماخ التي أصابت عدداً منهم بجراح ..

الحرب العربية الإسرائيلية

يمكن تقسيم الفترة الأولى من الحرب العربية الإسرائيلية الممتدة بين صدور قرار التقسيم وقيام الدولة اليهودية إلى مرحلتين ، الأولى وتمتد من بدء الاشتباكات عقب صدور قرار التقسيم وحتى أبريل ١٩٤٨ ، وقد اتسمت بشكل عام برجحان كفة القتال لصالح العرب الذين سيطروا على معظم طرق المواصلات وكانت التجمعات اليهودية في هذه المرحلة بمثابة جيوب بعضها محاصر .. أما الثانية فتبدأ في أبريل على أثر سقوط القسطل ومجزرة دير ياسين وقد اتسمت بانعطاف في مسار الحرب حيث أخذت تميل كفة الميزان بشكل واضح لصالح الطرف الصهيوني ..

وعلى امتداد هذه الفترة كانت القوات البريطانية المرابطة في فلسطين تقوم بدور فك الاشتباكات بين الفريقين وتحاول منع حدوث احتلالات ، وقد نجحت في كثير من الأحيان في منع العرب من تحقيق احتلالات في الفترة الأولى ، وفشلت أو لم تبذل جهداً في المرحلة الثانية في منع اليهود من تحقيق احتلالات هذا فضلاً عن مساعدتها للقوافل اليهودية في الوصول إلى المناطق النائية أو المحاصرة ..

وقد أخضعت الهاجاناة نشاطها العسكري في المرحلة الأولى في الحرب لخدمة تنفيذ قرار التقسيم بينما هدف التنظيمان الآخران في نشاطهما العسكري إلى توسيع حدود الدولة اليهودية المقترحة ، وبناء على ذلك وضعت الأرجون خطة استراتيجية تعتمد على احتلال مناطق عربية خارج حدود الدولة اليهودية المقترحة والمناطق التي تشملها الخطة هي القدس ، يافا ، اللد والرملة والمثلث العربي يشمل نابلس – جنين – طولكرم .. ومن بين ماقامت به اتسل في مثر هذه الفترة على سبيل المثال دخول عناصرها في ١٣ ديسمبر ١٩٤٧ القدس العربية وإلقاؤهم مواد متفجرة وسط التجمعات العربية أودت بحياة عشرة من العرب وألحقت إصابات بالعشرات ، ودخول عدد من العناصر يافا بزي عربي

وإلقاؤهم قنبلة في أحد المقاهي تسببت في مصرع ستة أشخاص وإصابة عدد كبير بجراح ، وفي حيفا ألقت مجموعة من عناصرها قنبلة على حشد عمالي عند معامل تكرير البترول في المدينة أسفر انفجارها عن مصرع ستة عمال عرب وإصابة عدد منهم بجراح ..

* * *

وفي هذا الوقت قامت ليحي بعمليات مشابهة لعمليات الأرجون ، وأبرز عملياتها في هذا المجال نسفها لمبنى « السرايا » في يافا في ٤ يناير ١٩٤٨ بوضعها بالقرب من المبنى سيارة مليئة بالمواد المتفجرة أسفر انفجارها عن مصرع ستة وعشرين عربياً وإصابة عدد آخر بجراح .. كذلك نفذت الهاجاناة عمليات مماثلة مستخدمة أسلوب نسف البيوت وحرقها ، ومن أمثلة ذلك في ٩ يناير ١٩٤٧ ألقت سيارة تابعة للأرجون قنابل داخل قرية يازور العربية أسفر انفجارها عن نسف المبنى وعن إصابة عدد كبير من رواده الأمر الذي دفع سكان القرية للتعرض للسيارات اليهودية المارة داخل قريتهم وقتل عدد من ركابها ، وقبل تفاقم الوضع كانت الهاجاناة قد أعدت عملية انتقامية تستهدف خطوط المواصلات العربية والمسافرين العرب ، وقد وقع عدد من الركاب العرب ضحية هذه الخطة ..

وفي الثاني من فبراير تعرضت بلدة يازور لعملية انتقامية حين اقتحمت وحدات من الهاجاناة أطراف البلدة ونسفت بيتاً وأشعلت حرائق في عدد من البيوت وقتلت عدداً من الركاب ، وفي منتصف فبراير نفذت سرية من البالماخ عملية انتقامية ضد قرية سعسع في الجليل الأعلى بغرض بث الرعب بين صفوف القرويين العرب إذ كان الهدف وفق التعليمات نسف عشرين بيتاً وإصابة أكبر عدد ممكن من المقاتلين بقدر المستطاع .. وتحت جناح الليل اقتحمت القوة البلدة وهدمت عدداً من البيوت وسط إشعال حرائق هنا وهناك ، وقتلت عشرات من العرب وقد استغربت عملية التنفيذ ثماني دقائق فقط ، وبعد مضي يوم واحد نفذت الهاجاناة عملية ضد فندق سميراميس في القدس أسفرت عن مصرع ١٤ عربياً إلى جانب مصرع مساعد القنصل الأسباني ..

* * *

وفي هذه الفترة نفذت الهاجاناة مذبحة ضد أهالي قرية بلد الشيخ في منطقة حيفا وبلغت حصيلة المذبحة أكثر من ٦٠ شهيداً عربياً بين رجل وامرأة وشيخ وطفل ، وكان من نتائج هذه المجزرة إلى جانب أعمال مشابهة حدثت في مدينة حيفا أن بدأت أعداد كبيرة من السكان العرب في حيفا تقدر بالآلاف تغادر المدينة خشية الوقوع ضحية اعتداءات يهودية مشابهة ..

وهكذا مضت الصهيونية في تنفيذ مخططها المرسوم ، فأصدر بن جوريون في ٢٥ مارس ١٩٤٨ أمراً للهاجاناة بتعبئة أكبر مجموعة ممكنة من القوات لاحتلال القدس ، وكان ذلك بمثابة أول تحول للهاجاناة إلى الهجوم الشامل ، ولذلك استدعى بن جوريون القادة المكلفين بالعملية وأعطاهم تعليماته الشخصية ، ويعتبر الهجوم على القدس في هذه المرحلة نقطة تحول هامة في الاستراتيجية الصهيونية وبداية لتنفيذ المخطط الكبير للاستيلاء على فلسطين ..

* * *

وفي نفس الوقت أعلنت الحكومة البريطانية عن عزمها على الإسراع في إنهاء الإنتداب وسحب قواتها المسلحة في موعد أقصاه ١٥ مايو ١٩٤٨ رغم قرار الأمم المتحدة الذي حدد أول أغسطس من نفس السنة تاريخاً لانتهاء الانتداب .. وبينما كان الجدل والنقاش دائراً في مجلس الأمن كانت قيادة الهاجاناة تضع تفاصيل خطتها العسكرية للاستيلاء على فلسطين التي أتمتها في أوائل مارس ١٩٤٨ وأطلقت عليها اسم « الخطة دال » وتتلخص في :

١ – مهمة الهاجاناة : فرض السيطرة على المنطقة المخصصة للدولة اليهودية والدفاع عن حدودها ..

٢ – أهداف العمليات الحربية :

(أ) الدفاع ضد غزوات القوات النظامية وغير النظامية ..

(ب) ضمان حرية المواصلات داخل منطقة الدولة اليهودية وبينها وبين مراكز تجمع السكان خارجها ..

(ج) حرمان العدو من استخدام أي قواعد متقدمة باحتلالها مع ممارسة الضغط ضد السكان العرب ..

(د) احتلال المراكز الهامة سواء في المناطق الحضرية أو الريفية داخل حدود الدولة اليهودية أو خارجها ..

ويلاحظ أن المهمة والأهداف تتسم جميعاً بالعمل العدواني ، فهي تطالب القوات بالعمل خارج منطقة الدولة بحجة الوصول إلى قواعد القوات المعادية وكان معنى ذلك السماح للهاجاناة بالعمل داخل حدود الدولة العربية الفلسطينية بل وداخل حدود الدول العربية المجاورة .. باعتبارها الدول التي تملك قوات نظامية ، ليس ذلك فحسب بل نصت الخطة على ممارسة الضغط على السكان العرب وهو ضغط إرهابي اتبعت خلاله أساليب

الحصار والنسف والتدمير والقتل الجماعي بهدف إجبارهم على ترك أراضيهم والنزوح خارج فلسطين أي تفريغ البلاد من سكانها الأصليين ..

* * *

وهكذا مع أوائل أبريل ١٩٤٨ ، كانت القوات الصهيونية المسلحة ومنظماتها الإرهابية قد أتمت استعدادها لتوجيه الضربة الرامية إلى تفريغ فلسطين من سكانها العرب بأعمال القتل والإرهاب ، ويمكن القول أن الفترة ما بين أول أبريل ومنتصف مايو ١٩٤٨ تعتبر من أخطر مراحل المخطط الصهيوني وأعظمها أثراً رغم كونها لم تزد عن ستة أسابيع .. فقبل هذه الفترة كان العرب يسيطرون على معظم أراضي فلسطين إلا أنه اعتباراً من أوائل أبريل وخلال فترة ستة أسابيع تقريباً تغير الموقف تغيراً كاملاً ، وقد بلغ عدد القرى التي تعرضت لهجوم المنظمات الإرهابية الصهيونية وأعمال النسف والتدمير والقتل حوالي مائة قرية عربية واستولت عليها القوات الصهيونية .. وإليكم أكبر عملياتهم الإرهابية قبل أن يعلن بن جوريون في مساء ١٤ مايو قيام دولة إسرائيل ..

* * *

إغتيال اللورد موين في القاهرة

في عام ١٩٨٠ ، أعلن شيمون بيريز زعيم حزب العمل الإسرائيلي عن استنكاره لكل أنواع الإرهاب ، ووصف منظمة التحرير الفلسطينية « بالمنظمة الإرهابية » وفي اليوم التالي ، حضر احتفال توديع بقايا رفات اثنين من الإرهابيين اليهود ، كانت رفاتهما قد وصلت تواً من القاهرة ، على متن طائرة العال الإسرائيلية ، وملفوفة بالعلم الإسرائيلي ، وتم دفن رفات الإرهابيين اليهوديين في حفل كبير برعاية مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الوقت ، وبحضور اسحق شامير زعيم الإرهابيين .

فلقد طلب مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلي من الرئيس المصري أنور السادات ، تسليم إسرائيل رفات اثنين من اليهود ، كان قد حكم عليهما بالإعدام في القاهرة ، ونفذ عليهما الحكم في ٢٨ مارس ١٩٤٥ . واستجاب الرئيس المصري أنور السادات لهذا الطلب الإسرائيلي الغريب ، وتم تسليم الرفات في سرية مطلقة حتى تم نقلهما إلى إسرائيل لإقامة هذا الاحتفال الغريب ، وقصة هذين اليهوديين بدأت عام ١٩٤٤ ، أثناء الاحتلال

البريطاني لفلسطين ، فلقد أصدر ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت قرارين بالنسبة لليهود في فلسطين :

الأول : قرار بالموافقة على إنشاء اللواء اليهودي ، وهذا اللواء قد لعب دوراً هاماً وأساسياً في طرد السكان العرب من قرى الحدود ، وأصبح لليهود بناء على قرار تشرشل وجود عسكري يهودي شرعي في فلسطين ، في الوقت الذي رفض إقامة جيش فلسطيني ، ذلك أن اليهود قد ضغطوا بشدة على تشرشل لانتزاع هذا القرار في نفس الوقت لم يحاول العرب أن يلعبوا نفس اللعبة اليهودية .

الثاني : إبعاد بعض العناصر الإرهابية اليهودية من فلسطين وخاصة من منظمتي اتسل وليحي ، ونفيهم إلى أريتريا ، وكانت هذه العناصر تقوم بسرقة السلاح من مخازن الجيش البريطاني ، ولا مانع من أن تقتل الحراس البريطانيين وكان معظم المنفيين من منظمة ليحي التي يقودها الإرهابي اسحق شامير .

أراد اسحق شامير أن يرد على نفي بعض أفراد جماعته ، فقرر اغتيال الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط ، وهو اللورد موين ، والذي يشرف على تنفيذ تعليمات الحكومة البريطانية ، وهو في نفس الوقت صديق شخصي لونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت ..

* * *

كان الوزير البريطاني يقيم في القاهرة ، وأرسل اسحق شامير إلى القاهرة « أفضل عناصر منظمة ليحي » لاغتيال الوزير البريطاني ، وفي ٦ نوفمبر عام ١٩٤٤ انتظر الإرهابيان اللورد موين على جسر أبو العلا الذي يربط حي الزمالك الأرستقراطي بوسط المدينة ، وأثناء مرور سيارته أطلقا عليه الرصاص ، فقتلاه ، كما قتلا سائقه وركبا دراجة وحاولا الفرار ، إلا أن الكونستابل المصري الأمين محمد عبد الله ، طاردهما .. فأطلقا عليه الرصاص ، ولكن رصاصهما لم يخفه ، وتمكن من الإمساك بهما .. واعترفا بجريمتهما ، وأهدافها ، وزعماء المنظمة ..

* * *

وقد حزن ونستون تشرشل حزناً عميقاً على صديقه اللورد موين ، وحاولت الوكالة اليهودية تغطية هذه الجريمة بالإعلان عن شجبها ، بل وشجب كل « أعمال الإرهاب » التي يقوم بها « العرب » وبعض المتطرفين من اليهود ، إلا أن موشيه سينيه زعيم

الهاجاناة ، لم يطيق هذا النفاق ، وهذه التغطية الساذجة ، وأعلن صراحة : أن الوقت قد حان للعمل الجدي ، وأنه من الأهمية بمكان تقوية مثل هذه العناصر ..

* * *

وفي القاهرة ، قدم المتهمان « الياهو حكيم والياهو بتسوري » إلى المحاكمة ، واعترف المتهمان بأنهما حضرا من فلسطين عاقدين عزمهما على قتل اللورد موين .. وقررا أنهما حضرا من فلسطين تنفيذاً لما أصدرته الجمعية التي ينتميان إليها وهي جماعة شتيرن بالتخلص من اللورد موين . وأنهما قاما بمراجعة مكتب اللورد وارتادا الأماكن المجاورة له ..

وكان المتهمان قد كمنا للورد موين في الطريق بين بيته ومكتبه وأمرا من معه في السيارة بالإنبطاح أرضاً ما عدا اللورد موين حيث أطلق الأول ٣ رصاصات عليه .. وحينما حاول السائق الحصول على مسدس المتهم الثاني أطلق عليه المتهم رصاصتين أردته قتيلاً . وركبا دراجتيهما وكادا يفلتان لولا أن لحق بهما الكونستابل الأمين محمد عبد الله وتمكن من اعتقالهما . وقد أطلق المتهم الأول النار على الكونستابل بقصد إرهابه حتى لا يطارده .. ووجهت لهما النيابة تهم قتل اللورد موين عمداً مع سبق الإصرار وقتل سائق سيارته ومحاولة قتل الكونستابل عندما أراد القبض عليهما ، وإحراز أسلحة نارية ومفرقعات بدون ترخيص ..

وتم تشكيل محكمة عسكرية لمحاكمتها برئاسة محمود منصور بك وانتدبت المحكمة محامين للمتهمين ومترجماً لترجمة أقوالهما بعد أن أصرا على الإدلاء بأقوالهما باللغة العبرية ، كما رفض المتهمان الإدلاء بأسباب قتلهما للورد موين وقالا أنها عقيدة دينية وتعليمات للجمعية التي ينتميان إليها .. وقد أصدرت المحكمة حكمها بإحالة أوراق المتهمين إلى فضيلة المفتي لإبداء رأيه فيها وحددت للنطق بالحكم يوم الإثنين ٢٢ يناير ١٩٤٥ .. وفي الجلسة المحددة تلا رئيس المحكمة الحكم بإعدام المتهمين ومصادر الأسلحة المضبوطة على ذمة القضية ..

وتم تنفيذ الحكم بإعدامهما شنقاً في ٢٨ مارس عام ١٩٤٥ ، وتم الاحتفال برفاتهما في إسرائيل عام ١٩٨٠ ..

* * *

نسف فندق الملك داوود

في أبريل عام ١٩٨٦ ، أثناء زيارة مسز مارجريت تاتشر لإسرائيل ، أصرت حكومة شيمون بيريز أن تعقد مسز تاتشر مؤتمرها الصحفي في فندق الملك داوود بالقدس .. وكان إصرار حكومة بيريز على عقد المؤتمر في هذا الفندق بالذات ، هو إعلان بريطاني جديد للصفح عما ارتكبته إسرائيل ضد الجنود البريطانيين في فلسطين ، فترة الانتداب البريطاني ، والغريب في الأمر أن مسز تاتشر تحدثت عن الإرهاب .. وأعلنت أنها ستواجه الإرهاب بشدة وعنف ، وتعني به « الإرهاب الفلسطيني » .

وتجاهلت مسز تاتشر ما حدث في هذا الفندق لجنود بريطانيا على أيدي العصابات الصهيونية ، بل أن مناحم بيجين بطل هذه المذبحة ، كان على صدر القائمة السوداء في المطارات والموانىء البريطانية بغرض حظر دخوله بريطانيا ..

ولكن إسرائيل ، كما استطاعت الحصول على صك البراءة من دم المسيح .. استطاعت أن تحصل لعصاباتها الإرهابية على صك السماح من مسز تاتشر، بل وجعلوها تعقد مؤتمرها الصحفي في الموقع الذي شهد قمة الإرهاب اليهودي ضد القوات البريطانية .

* * *

كما سبق أن ذكرنا في مكان سابق ، كانت الوكالة اليهودية هي التي توزع الأدوار ، على المؤسسات الإرهابية في فلسطين وخارجها ، وكانت هذه الوكالة تضم العديد من الوثائق التي تدينها ، سواء في تلك العمليات الإرهابية التي تحدث ضد قوات الاحتلال البريطاني ، أو تلك التي تحدث ضد الفلسطينيين ، بالإضافة إلى الوثائق التي تؤكد علاقة الوكالة بالنازية ، وفي نفس الوقت كفر اغتيال الجنود البريطانيين على أيدي العصابات الإرهابية اليهودية ، وفي نفس – تشجب الوكالة حوادث الاغتيال ، وتدينها – وهي في نفس الوقت التي خططت لها ، وكلفت إحدى العصابات القيام بها ، لذلك قرر مستر كاينجهام المندوب السامي البريطاني في فلسطين احتلال مبنى الوكالة اليهودية والقبض على قادتها ، والاستيلاء على وثائق الوكالة تمهيداً لتقديم أفرادها إلى المحاكمة .. وفي صباح يوم ٢٩ يونيه عام ١٩٤٦ ، قامت قوة من الجيش البريطاني باحتلال الوكالة ، والقبض على قادتها فيما عدا بن جوريون الذي كان في باريس في ذلك الوقت ، واستولت القوات البريطانية على تلك الوثائق .. وأودعتها في فندق الملك داوود في القدس ..

* * *

وهذا الفندق قد تم افتتاحه في القدس عام ١٩٣٠ ، وكان هذا الفندق من أجمل فنادق الشرق الأوسط ، وقد أقام فيه الملوك والرؤساء الذين قاموا بزيارة فلسطين بعد عام ١٩٣٠ ، كالملك عبد الله ، والامبراطور هيلاسلاسي امبراطور الحبشة ، وجورج الخامس ملك بريطانيا ، وأثناء الحرب العالمية الثانية تحول الفندق إلى مقر قيادة القوات البريطانية ، وعندما انتهت الحرب ، ظل الفندق مقراً لهذه القيادة ..

انتقلت وثائق الوكالة اليهودية إلى مقر القيادة في فندق الملك داوود ، وأصدرت الهاجاناة أوامرها إلى الإرهابي مناحم بيجين بنسف الفندق والإستيلاء على الوثائق ..

يقول يسرائيل جاليلي[1] أن أحداث (السبت الأسود)[2] قد أدت إلى التخطيط لهذه العملية ، ولكن قرار نسف مقر القيادة البريطانية ، في فندق الملك داوود ، كان قد اتخذ قبل ذلك بأسابيع لأسباب سياسية ، والقول بأن النسف كان بسبب الوثائق ، هو سبب تافه للغاية ، لأن البريطانيين كانوا ــ بالتأكيد ــ قد صوروا هذه الوثائق ..

* * *

قام مناحم بيجين بقيادة العملية بنفسه ، وتمكن من إدخال ٣٥٠ كيلوجراماً من المتفجرات داخل الفندق ، وفي مساء ٢٢ يوليو عام ١٩٤٦ دوى الانفجار في الفندق ، وفي لحظات ، تحول جانب كبير من هذا الفندق إلى حطام ، وكان عدد القتلى ٩١ قتيلاً و٤٦ جريحاً ، منهم ٤١ عربياً ، و ٢٨ بريطانياً و ١٧ يهودياً وخمسة جنسيات أخرى ..

* * *

كان مناحم بيجين قد عرض خطة النسف على الهاجاناة ، ولكنهم خشوا في البداية أن تفشل ، إلا أنه أصر على تنفيذها ، وقام بتعبئة المتفجرات في « سبع أوان للبن الحليب » الذي يتم تزويد الفندق به ، وكانت القيادة البريطانية قد تركت طابقين من الفندق للنزلاء ، ولهم باب خاص ، وأخذ بيجين ومجموعته « فناطيس » اللبن الحليب ، على سيارة نصف نقل ، وارتدى ومجموعته ملابس العرب الذين كانوا يمدون الفندق بالألبان ، واتجه إلى باب خدمات الفندق ، فأراد أحدهم تفتيشه فقتله ودخل الفندق

---

(١) أحد زعماء حزب العمل ، قدم مشروع جاليلي الذي يقضي برفض العودة إلى حدود ٤ يونيو .

(٢) اليوم الذي قامت فيه القوات البريطانية باحتلال مبنى الوكالة اليهودية والاستيلاء على الوثائق واعتقال قادة الوكالة ..

واحتجز العاملين الإداريين في الطابق الأول ، وأدخل المتفجرات ، وضبط الساعة الزمنية لموعد الانفجار ، وخرج والمجموعة من باب خروج النزلاء ، حيث كانت في انتظار المجموعة التي يقودها بيجين سيارة تاكسي ، وهرب .

وأثناء هروبه دوى الانفجار ، فأطلقت الشرطة العسكرية البريطانية عليهم النيران ، فجرح اثنان مات أحدهما متأثراً بجراحه ..

* * *

أحدثت هذه المجزرة دوياً هائلاً في بريطانيا ، ولكنها في نفس الوقت عجلت بخروج القوات البريطانية من فلسطين ، حتى تتمكن العصابات الإسرائيلية من إعلان الدولة ..

مناحم بيجين لا ينكر دوره الإرهابي في هذه المجزرة ، بل إنه يفتخر بها ، ولقد كتب في مذكراته التي أطلق عليها اسم « التمرد » يقول :

« قدمنا خطتنا لأول مرة في ربيع عام ١٩٤٦ إلى « قيادة حركة المقاومة » ، أبلغت سينح وجاليلي أننا سوف نتعهد باختراق جناح الحكومة ، في فندق الملك داوود ، والقيام بعملية تخريب واسعة النطاق ، وقد أكدت ، دون أن أتناول التفاصيل ، أن أستخدام المتفجرات سيتميز بجهاز جديد ، وسوف لا يمكن إزالة ألغامنا أو إبطال مفعولها ، ذلك لأنها ستنفجر بمجرد التماس ، ومن ناحية أخرى سوف نكون قادرين على تحديد لحظة انفجار هذه الألغام ، بواسطة جهاز زمني ، بعد إدخالها إلى المبنى بنصف ساعة » ..

لم تصادق الهاجاناة على خططنا من فورها ، واعتبرت أن الهجوم على مقر رئاسة الحكم البريطاني عملية طموحة للغاية ، رغم أنهم لم يعارضوا الخطة من حيث المبدأ .. وكانت معارضتهم ، في أن الوقت لم يحن بعد ، لمثل هذا الهجوم الخليق بإثارة البريطانيين إثارة بالغة ، وكان علينا أن ننحني لقرار الهاجاناة ، غير أننا لم نصرف النظر خططنا ، وقدمناه في أحاديثنا الشخصية مع رؤساء الهاجاناة ، وفي رسائلنا .. وكان الاسم الذي أطلقناه على فندق الملك داوود ، « مالوتنشيك » أي « الفندق الصغير » ، إمعاناً في التورية أسميناه « تشيك » ، وفي غضون ذلك كانت « جبهة تحرير إسرائيل » قد أعدت خطة هجوم على مبنى آخر ، كانت تستعمله الحكومة وهو عمارة إخوان داوود .. وقد صدق على هذين المشروعين .. بعد تعليقهما لعدة أشهر ، من قيادة منظمة الهاجاناة ، في يوليو ١٩٤٦ ، أي بعد الهجوم الرئيسي الذي شنه الجنرال « باركر » على الهاجاناة والبالماخ والوكالة اليهودية بيومين ..

وعن القصة الكاملة لعملية نسف فندق الملك داوود ، نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت بتاريخ ١٩٧٩/٧/٦ القصة التالية :

– بدأت منظمة اتسل العمل في الساعة الخامسة والنصف مستخدمة سارة تاكسي وشاحنة في تل أبيب ، ونقل السيارتين إلى القدس حيث سرقت هناك سيارة أخرى ، وكانت سيارة بيك آب رقم ٧٠٢٢ .. وتمت تعبئة سبعة أباريق من أباريق الحليب بالمواد الناسفة .. ووضعت في سيارة البيك آب ، واتجهت السيارة ، حاملة مجموعة من أفراد الكوماندوز المسلحين برشاشات ستين وتوميخان ويرتدون الملابس العربية ، وسارت في الطريق المؤدي إلى باب خدمات الفندق ..

لقد اختارت منظمة آتسل المكان الأقل حراسة في الفندق ، ولم تكن البوابة الرئيسية للفندق محصنة ، لأن الفندق كان يستخدم كفندق ومطعم ، وكأهم مركز اجتماعي في القدس ، وكانت هناك حراسة على باب سكرتارية الحكومة ، الواقعة تحت الجناح الجنوبي الشرقي ، ولكنه كان مفتوحاً للجمهور ، وكثيراً ما كان يؤمه المواطنون في شئون مختلفة ، ولم تكن هناك حراسة مطلقاً على باب خدمات المطعم ..

وفي الساعة ١١ر٤٥ ، قام ثلاثة من أعضاء آتسل المسلحين ، باحتجاز البواب في أحد المكاتب بالقوة ، وبعد ذلك احتجزوا جميع العاملين في المطابخ بينما قام عدد آخر من آتسل .. بإنزال أباريق الحليب من سيارة البيك آب .. ووضعوها تحت مكاتب السكرتارية .. وبدأ قائد المجموعة بوصل المواد المتفجرة بأجهزة التوقيت وبعد ذلك وضع لافتات بثلاث لغات على الأباريق « ألغام ممنوع اللمس »
ويقول بيغن :
– وبعد ذلك دارت معركة لأنه كان على جنودنا التوغل إلى الطابق الأرضي ، وهناك رابط جنود بريطانيون ، ويبدو أنهم شعروا بحركة مريبة ، فبدأوا بإطلاق النار – وقد دحض شهود عيان بريطانيون ادعاء بيغن هذا ، وقال السكرتير العام للحكومة البريطانية ، جون شو ، الذي كان يقوم بمهام المندوب السامي .. الن كاتنغهام ، أثناء غيابه : لقد التقى ضابط اتصال بريطاني بأعضاء آتسل وطلب منهم إبراز هوياتهم ، لكنهم أطلقوا النار عليه وقتلوه ، وكان القتيل الوحيد .. ولم تحدث أية معركة ..

أما تقرير الشرطة البريطانية ، الذي يصف الحادث بالتفصيل ، فيوضح بأن الجنود البريطانيين الوحيدين الذين كانوا في الطابق الأسفل ، أثناء اقتحام أعضاء آتسل ، كن فتيات عملن في مقسم الهاتف العسكري في البهو ، في مكان قريب من المقهى .. وعند ساعات الظهر ، جلس الملازم أول ل. ب. تشمبرز والنقيب أ. د. ماكنتوش في قيادة

الاتصال الكائنة في الطابق العلوي ، وقرر ماكنتوش النزول إلى الطابق الأرضي .. لتفقد مقسم الهاتف ، وبعد دقائق ، اتصلت الرقيبة براون المسئولة عن المقسم بالملازم أول تشمبرز ، وأبلغته أن عرباً مسلحين يصارعون ماكنتوش في البهو ، وأفادت فيما بعد ، أن الشجار استمر بضع دقائق ، وحاول اثنان من أعضاء آتسل إدخال ماكنتوش إلى المطبخ ، لكنه تمكن من الوصول إلى الدرج المؤدي إلى قاعة المدخل الرئيسي ، وعندئذ أطلقت عليه النار من مسافة قريبة ، وأصيب في بطنه لكنه نجح في صعود الدرج وهناك التقى بأحد عمال الفندق الذي ساعده في الوصول إلى الطابق السفلي وقام بإبلاغ إدارة الفندق التي قامت بدورها بإبلاغ رجال الأمن بالحادث ..

وفي هذه المرحلة ، علم رجال الأمن بأن ضابطاً قد تعرض للهجوم وأن الطابق الأرضي يضم بعض العرب ، يقومون بتصرفات مشبوهة .. وعلى الفور قام تشمبرز برفقة جنديين بتخطي بهو الفندق ، ودخلوا إلى غرفة مقسم الهاتف عبر النافذة ، وقال تشمبرز : ألقيت نظرة عبر النافذة المطلة على مطعم ريجنس ، وعلى الفور صوب رجلان يرتديان زي الجنود الأردنيين سلاحهما نحوي ، فتراجعت ..

عاد الرقيب بيتي إلى قاعة الدخول في الفندق ، واتصل هاتفياً بالنقيب فاين ، وضابط الأمن النقيب نيقولاس ، وعاد برفقة جندي إلى بهو الطابق الأرضي وتقدم الشيء في البهو ، عندئذ أطلقت النار عليه ويقول : — شاهدت رجلاً يرتدي الملابس العربية ، يقف على الباب وبيده رشاش من طراز ستين ، وصرخ : قف .. فقفزت إلى الخلف ولم يطلق النار مرة أخرى .. وعدت إلى الباب ، فشاهدت شاحنة والرجل الذي أطلق النار على ، فعاد وأطلق النار ثانية ، وفي هذه اللحظة .. أي في الساعة ١٢ر١٥ ، بدأ أعضاء آتسل في الإنسحاب ، فقام موظف بالضغط على جرس إنذار شرطة القدس ، وعلى الفور اتجهت مجموعة من أفراد الشرطة بقيادة الملازم أول هادينغام إلى فندق الملك داوود ..

وغادرت مجموعة الهجوم التابعة لمنظمة آتسل الإرهابية ، سيارة الشحن التي أطلقت عليها النار ، وانسحبت مشياً على الأقدام ، في حديقة الفندق ، واتجهت نحو سيارة التاكسي التي خصصت لاستخدامها في الفرار ، وكانت تقف على بعد ٢٠٠ متر من الفندق ، في الطريق المؤدي إلى القنصلية الفرنسية ، فشاهد الجندي البريطاني بعض أفراد المجموعة ، وأطلق النار عليهم ، فوقع أحد أفراد المجموعة ، لكنه عاد ووقف واستمر في الركض واتضح فيما بعد أن اثنين قد أصيبا بجراح ، هما : أهارون أبراهامي واسحق شارون ، وصعد ستة من أفراد المجموعة إلى سيارة التاكسي ، واختفوا في المكان ، بينما

ركض الباقون باتجاه الحي اليهودي ، وعثرت الشرطة البريطانية على الجريحين هناك صبيحة اليوم التالي ، وكان أبراهام قد توفي متأثراً بجراحه ..

فيما بين الساعة ١٢ر٢٠ - ١٢ر٢٥ ، انفجرت قنبلة صغيرة ، كانت قد وضعتها مجموعة أخرى تابعة لمنظمة آتسل ، في عربة بائع عربي متجول ، على بعد أمتار من الفندق بالقرب من قاعة لعرض السيارات ..

بعد هذا الانفجار عادت عاملات المقسم لمزاولة أعمالهن ، وفي غضون ذلك غادر بعض الأشخاص المحتجزين في المطبخ المكان بحذر ، وأبلغ بعضهم بأن إرهابيين يهود اعتدوا عليهم ، وسجنوهم في الطابق السفلي ، ووضعوا أباريق حليب هناك ، فتوجه هادينغهام إلى هناك ، وفجأة دوى انفجار قوي قذفه إلى الخلف حوالي عشرة أمتار ، وكانت الساعة ١٢ر٣٧ تماماً ، لأن الانفجار أوقف جميع الساعات الكهربائية في المبنى .. لقد حول الانفجار الجناح الجنوبي الغربي من الفندق إلى كومة من الركام والغبار ، وانهارت الطوابق الستة المؤلفة من ٢٨ غرفة ، وبدت كأنها قطعت تماماً من جناحها الجنوبي الغربي ..

لقد أدى الانفجار إلى مقتل ٩١ شخصاً ، بينهم ٤١ عربياً و ٣٨ بريطانياً و ١٧ يهودياً وخمسة آخرين . وقال تقرير الشرطة : أن عدد القتلى قد ارتفع بسبب الانفجار الذي جعل الكثير من نزلاء الفندق يتجهون إلى نوافذ الجناح الجنوبي الغربي كما حدث في الشارع ..

* * *

تكثيف الإرهـــاب

عندما قررت وأعلنت بريطانيا الانسحاب من فلسطين في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ نشطت كل المنظمات الإرهابية اليهودية لتفريغ فلسطين من العرب ؛ وخلق أمر واقع بحيث يعلن بن جوريون الدولة الإسرائيلية ، وتكون القوات الإرهابية مسيطرة على أكبر جزء من فلسطين ، وفي سبيل ذلك ، لم يعد بن جوريون يتحفظ في إعلان معرفته بالعمليات الإرهابية ، بل إنه كان يشترك في التخطيط لها ، وينتظر نتائجها ..

ولقد اتخذت هذه العمليات الإرهابية استراتيجية تكاد تكون ثابتة ، وهي الإغارة على القرى ، ذبح الرجال والنساء والأطفال ، ترك من يريد أن يهرب ، احتلال القرية ،

الاستيلاء على الممتلكات الموجودة في البيوت ، استيطان القرية تغيير اسمها العربي ، وإطلاق اسم عبري عليها ، وبهذا تصبح القرية العربية مستعمرة يهودية في عدة أيام .. وفيما يلي نماذج من الغارات اليهودية على القرى العربية :

البحث عن سبب
في قرية حسـاس العربيـة

في عام ١٩٤٧ ، وفي صباح يوم ١٢ من ديسمبر ، توجه خمسة عمال عرب من قرية حساس إلى أعمالهم في الصباح الباكر ، وخرج عليهم قطاع الطرق اليهود من مستعمرة « معيان باروخ » القريبة من القرية العربية ، وحدثت مشادة بين اليهود الثلاثة والعرب الخمسة ، أدى إلى قيام أحد العمال العرب بطعن يهودي بسكين مات على الفور ، وفر اليهوديان ، وفر العرب أيضاً ..

وبلغ الحادث قيادة البالماخ ، واعتبر اغتيال يهودي كارثة ، وتقرر الإغارة على قرية حساس .

وتم تشكيل قوتين من البالماخ لمهاجمة القرية ، الأولى بقيادة دافيد شركسكي والثانية بقيادة يعقوب ليفنجر ..

وذهبت القوتان إلى القرية ، ونسفت بعض البيوت ، وقتلت كل من رأته من الرجال والنساء والأطفال ، وأرسلت تقريرها عن نتائج هذه العملية ، فماذا يقول التقرير :

— « ان المجموعة لم تتمكن من قتل سوى ١٢ فقط من عرب قرية حساس بينهم عدد من النساء والأطفال واتضح أن الرجال قد غادروا القرية قبل تنفيذ العملية .. وأن جميع قتلى العملية من النساء والأطفال ، ولقد كانت هذه العملية كئيبة من حيث نتائجها بسبب عدم التخطيط السليم[1] ..

* * *

(١) صحيفة معاريف الإسرائيلية — ملحق العدد ١٩٨١/٧/٣١ .

يازور .. الخطيئة والعقاب :

يازور .. هو اسم لقرية عربية عند مدخل مدينة يافا ، والقادم من يافا في طريقه إلى القدس ، لابد أن يمر بيازور .. وكانت السيارات الإسرائيلية تمر بالقرية ، وكان اليهود يلقون على سكانها القنابل اليدوية ، بل قامت منظمة آتسل الإرهابية ، بوضع عبوة ناسفة في مقهى القرية ، أدى انفجارها إلى مقتل العشرات من رواد المقهى العرب ..

وفي يوم ٢٢ ديسمبر عام ١٩٤٨ مرت سيارة تحمل سبعة من الحرس الإسرائيلي .. فاصطدمت بلغم عند مدخل القرية ، أدى إلى نسف السيارة ، ومصرع الحراس السبعة .. وكان رد الفعل الإسرائيلي ، وقد أزاح الستار عن رد الفعل هذا الكاتب اليهودي أوري ميلشتاين في صحيفة دافار الإسرائيلية بتاريخ ٨ مايو عام ١٩٨١ ، تحت عنوان « يازور .. الخطيئة وعقابها » .. يقول ميلشتاين « في نفس اليوم الذي قتل فيه الحراس السبعة ، وجه ضابط عمليات منظمة هاجاناه إيجال يادين أمراً لقائد البالماخ بيجال آلون قال فيه : عليك بالقيام بأسرع وقت ممكن ، وبدون أية أوامر أخرى بعملية ضد قرية يازور ، ويجب أن يكون الهدف إزعاج[1] القرية فترة طويلة ، وحتى إشعار آخر .. وذلك عن طريق التسلل لداخلها ونسف وإحراق عدد من المنازل ، .. واغتيال السكان ، وإنني أمنحك صلاحية أسلوب العمل » ..

يقول أوري ميلشتاين :

« قامت مجموعة تابعة للبالماخ ، بمهاجمة سيارة باص عربية بين يازور ومكفة يسرائيل ، وقد أصيب نتيجة لذلك سائق سيارة الباص ، وعدد من الركاب العرب .. وفي نفس اليوم أيضاً ، هاجمت مجموعة إرهابية أخرى سيارة باص عربية ثانية ، ووقع عدد من المصابين بين ركابها .. لقد استمرت الهجمات اليهودية ، التي قامت بها وحدات البالماخ ولواء جبعاتي ، على قرية يازور والسيارات العربية المتجهة إلى يازور ويافا ، عشرين يوماً متواصلة ، وكانت عناصر البالماخ الإرهابية تتسلل إلى القرية عبر بيارات البرتقال ، وتفجر العبوات الناسفة قرب المنازل ..

وفي ذكرى اليوم الثلاثين لقتل اليهود السبعة ، قررت قيادة الهاجاناة مهاجمة قرية يازور ، ونسف مصنع الثلج وبنايتين مجاورتين له ، بحجة وجود حسن سلامة في هاتين البنايتين .

---

(١) يعني إرهاب السكان العرب في القرية .

وقد أسندت مهمة التخطيط لهذه العملية إلى ضابط عمليات البالماخ اسحق رابين .. وكانت هذه أول عملية تشترك فيها وحدة إسناد تابعة لشعبة التدريب ، وكان مسئول شعبة التدريب هو العميد يسرائيل طال ، وتقرر البدء بالهجوم مع بزوغ الفجر ..

وفي الليل تجمع الأشخاص الذين تقرر اشتراكهم في العملية ، في مستوطنة مكفة يسرائيل ، ووصلت من كيبرتس خلدا مجموعة بقيادة يهوشاع بنو ، ووصل يسرائيل طال ومعه رشاش براوننغ ، وطاقم مؤلف من ستة أفراد ، ووصل امنون جنسكي مع مجموعة من خبراء المتفجرات العاملين في قيادة البالماخ .. وتم إحضار الأسلحة والذخيرة من أماكن مختلفة .. وبعد عملية استعداد طويلة ، انطلقت القوات إلى القرية عبر بيارات البرتقال ، وقامت مجموعة الرشاش المتوسط بقيادة طال ، بإطلاق النار على مصنع الثلج وقامت المجموعات الأمامية بالهجوم ، وقام المقاتلون بإطلاق النار والقنابل اليدوية على البيوت والمنازل .. وقامت مجموعة يهوشاع بنو بتفجير بوابة مبنى اسكندروني .. وأحضرت عبوتين ناسفتين ، زنة الواحدة ٢٥ كيلو غراماً ، وتم نسف مبنى اسكندروني ومبنى معمل الثلج ، وأسفرت العملية عن مقتل ١٥ عربياً من سكان يازور قتل معظمهم في فراش النوم » ..

* * *

فرحة اليهود بمقتل ٧٠ عربياً مرة واحدة

هذه العملية الإرهابية الكبرى حدثت في يافا عام ١٩٤٨ في الثامن من يناير ، حيث كانت اللجنة القومية العربية ليافا ، تجتمع في عمارة أطلق عليها « السرايا العربية » ، وكان هدف البالماخ نسف هذه العمارة ، وقتل أكبر عدد ممكن من قيادات اللجنة ، وكلف بن جوريون « الصاعقة اليهودية »[1] بتنفيذ العملية ، وسوف نسرد تفاصيلها

(١) الصاعقة ، وهي القوة الضاربة لمنظمة الدفاع اليهودية (هاجاناه) وقد أقيمت عام ١٩٤١ ، وقد شاركت البالماخ البريطانية ضد قوات حكومة نيش في كل من سوريا ولبنان ، وقد شاركت في تأمين وصول اليهود إلى فلسطين ، كما قامت بمواجهة القوات العربية في القدس وسيناء والجليل الأعلى ، وهي أساس حزب المابام اليساري ، ومن نجوم البالماخ اسحق رابين وإيجال آلون وكان يشرف على البالماخ بن جوريون ..

على لسان الإرهابي الإسرائيلي رحاميم هكمبوب الذي اشترك في تنفيذ العملية ، وقد نشر اعترافه في مجلة الجيش الإسرائيلي بتاريخ الرابع من يناير عام ١٩٧٨ ..

وقبل سرد الوقائع عن لسان هذا الإرهابي ، لابد من توضيح أمر هام ،وهو أن اليهود لا يخجلون من الاعتراف بعملياتهم الإرهابية ، وقتل الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ العرب ، بل إن هذا محل فخرهم ، والأكثر شجاعة وفخراً هو الأكثر قتلاً للأبرياء العرب ، وقد شهدت الصحف الإسرائيلية ـ بعد عام ١٩٦٧ ـ تنافساً بين الإرهابيين لنشر مذكراتهم . . وفيها يعترفون بكل صراحة عن قتل العرب ليلاً . . وإلقاء العبوات الناسفة في أماكن تجمعهم ، لأن قتل العرب ـ حتى لو كانوا أطفالاً أو نساء ـ لا يخجلهم ، بل هو مصدر فخر واعتزاز . .

نعود إلى اعتراف الإرهابي الإسرائيلي هكمبوب ، يقول :

– عندما قررت قيادتنا نسف هذه العمارة ، والتي كانت مقر اللجنة القومية العربية بيافا ، كانت قيادتنا تهدف إلى قتل أكبر عدد ممكن من العرب ، وذلك للتأثير عليهم نفسياً ، وقد سبق عملية التنفيذ قيام رجال مخابراتنا بجمع المعلومات الضرورية عن العمارة والطرق المؤدية إليها ، أما أنا فقد كنت أسكن في « رشون لتصيون » فقمت بالتجول في يافا جولات استطلاعية ، وكنت أرتدي الزي العربي ، وأحمل هوية عربية مزيفة ، باسم محمود سالم البحري .. وبعد عمليات الاستطلاع ، جرت عملية التنفيذ ، حيث قدت سيارة ، تحمل ٥٠٠ كيلوغرام من المواد المتفجرة ، وللتمويه وضعنا فوق المتفجرات كمية من برتقال يافا ، وقد نجحت في عبور ثلاثة حواجز للتفتيش الأولي في أبو كبير وكان بريطانياً ، والثاني كان عربياً بالقرب من مدخل يافا .. أما الثالث فكان عربياً أيضاً ، ويقع بالقرب من مركز يافا ، ونجحت في الوصول إلى الهدف .. غير أن الشبهة دارت حولي وأخذوا يراقبونني ويلاحقونني ، لكنني تمكنت من الإفلات ، تحت وابل من الرصاص والصياح الذي كان يصل أذني .. هذا يهودي ، وعدت إلى تل أبيب مع السيارة ..

وبعد ذلك وبالتحديد في الرابع من ديسمبر ١٩٤٨ أمرت بتنفيذ العملية واشترك معي شاب اسمه اليشع عمره ٢٣ سنة .. وكان يوم أحد وكان الطقس ممطراً وبعد أن نجحنا في اجتياز الحواجز والوصول إلى يافا ، كان كل شيء مغلقاً باستثناء صالون للحلاقة يقع بجانب السرايا ، وكان أحد مداخلها مغلقاً ببوابة ضخمة من الحديد ، تعود إلى العهد التركي ، غير أن الشبهة دارت حولنا ، قبل أن نتمكن من إيقاف السيارة .. فتوجه إلينا

أحد العرب ، وفتح باب السيارة بدون استئذان ، وسألنا عن سبب وجودنا في هذا المكان .. وكان جوابي بأنني أبحث عن « أبو محمد » غير أنه قال أن الوقوف هنا محظور ، فاستأذنت بالوقوف دقيقة واحدة لأذهب إلى المقهى وأعود فوراً ..

وفي الوقت نفسه ، خرج نحونا من صالون الحلاقة ، ما يزيد على ١٨ عربياً .. وكان الجو مكهرباً ، غير أن مظهرنا العربي ، ومعرفتي الجيدة بالعربية ، أزالا الشكوك من حولنا ، وفي صندوق خشبي تحت مقعد السائق كان هناك جهازان للتوقيت والتفجير الأول لمدة ساعة ونصف والثاني لمدة ثمانين ثانية – وكان من الواضح أننا لن نستطيع إيقاف السيارة لمدة طويلة ، لذلك علينا استعمال جهاز التوقيت الثاني .

وأعددنا أنفسنا للخروج من السيارة بهدوء ، وشعرنا بأن العرب يطمئنون لنا ، وقبل الخروج من السيارة وإقفال نوافذها ، وقتنا جهاز التفجير وأخذنا نعد الثواني في قلوبنا ..

كان الجو رهيباً وأعصابنا متوترة ، وبعد أن ابتعدنا قليلاً عن السيارة ، انتهزنا فرصة هطول الأمطار ، فأخذنا نركض وكأننا نهرب من المطر ، وكنا نحمل بعض القنابل اليدوية التي أخذت تتساقط من جيوبنا .. ولحسن الحظ وبفضل الأمطار لم يشاهدنا أحد .. وعندما وصلنا إلى شارع شدروت أورشليم ، سمعنا الانفجار الهائل الذي هز الأرض والمباني القائمة عليها ، وتطاير زجاج النوافذ في الهواء وحطم واجهات المعارض التجارية .. ولم يبق شيء في مكانه ، أما أنا وزميلي اليشع فقد قطعنا الشارع بسرعة واتجهنا نحو أبو كبير وسمعنا أصوات العيارات النارية ، فقد اعتقد العرب أن منفذي العملية سوف ينسحبون بسيارتهم فاغلقوا الشوارع ..

وفي اليوم التالي قرأنا في الصحف أن أكثر من سبعين عربياً قد قتلوا في هذا الانفجار ، إضافة إلى عشرات الجرحى ..

هذه ليست كل جرائم اليهود في فلسطين ، بل هي جزء من جرائم كبيرة .. هم أنفسهم كشفوا عنها ، وهذه الجرائم في حاجة إلى مجلدات ، ولكن نكتفي بهذا القدر من هذه الجرائم ضد القرى العربية في فترة إعلان بن جوريون لقيام الدولة ..

نتـائج هـذه الجريمـــة

كان الهدف من الإرهاب اليهودي ضد القرى العربية ، هو إجبارهم على النزوح منها ، وقد نجحت هذه الخطة إلى حد كبير ، بينما فشلت نفس الخطة عام ١٩٦٧ ، حيث استوعب الفلسطينيون الدرس جيداً ، وواجهوا الإرهاب الإسرائيلي دون أن يتركوا الأرض ..

لقد اتخذ الإرهاب خطة مدروسة ، نفذت بعناية وشراسة بعد قرار الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين ، وكان القرار للدولة العربية ٤٦٪ من أرض فلسطين ، يسكنها ٧٢٥ ألف من العرب وعشرة آلاف من اليهود ، ويعطي للدولة اليهودية ٥٤٪ من أرض فلسطين ، يسكنها ٤٩٨ ألفاً من اليهود . و ٤٠٧ آلاف من العرب ، وجاء في قرار التقسيم ، قرار آخر بتدويل القدس وكان يسكنها ٢٠٠ ألف نسمة نصفهم من العرب ، والنصف الآخر من اليهود ..

ورفض بن جوريون قرار التقسيم ، وبدأ في مخطط السيطرة بالإرهاب على أكبر مساحة من فلسطين ، بحيث يعلن الدولة في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ ، ويكون قد فرض سيطرته على أكبر مساحة من فلسطين ..

* * *

ويتحدث الكاتب الإسرائيلي أوري أفنيري عن أهداف الإرهاب في مرحلة ما قبل إعلان الدولة .. يقول :

– « كانت هناك ثلاث مراحل لتهجير الفلسطينيين من وطنهم ..

المرحلة الأولى : بدأت في ٣٠ نوفمبر من عام ١٩٤٧ وبعد مرور ساعات على موافقة الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين ، واستمرت حتى نهاية مارس ١٩٤٨ ، وأثناء هذه الحقبة هرب عدد معين من العرب من بيوتهم في الأحياء المدنية والقرى ، التي كانت قريبة جداً من مراكز التجمع اليهودية » ..

المرحلة الثانية : استمرت من نهاية مارس وحتى أواسط مايو ١٩٤٨ ، وفي هذه المرحلة بالذات توصل بعض القادة إلى استنتاج يؤكد أن التهجير الجماعي للعرب سيكون عملاً جيداً .. وهكذا ظهرت خطة « داليت » التي وضعت أمام الفصائل اليهودية الصهيونية هدفاً ليس للدفاع فقط عن حدود المنطقة التي تحددت ضمن قرار الأمم المتحدة الخاص

بالدولة اليهودية ، بل وفرض رقابتها على الأحياء اليهودية وسكانها من اليهود في المستوطنات اليهودية والتي تقع خارج تلك الحدود ..

المرحلة الثالثة : لنزوح العرب بدأت بعد إعلان قيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو من عام ١٩٤٨ : « أعتقد أن تهجير المواطنين العرب أضحى في تلك الفترة هدف داڤيد بن جوريون وحكومته .. بعد أن عجزت الأمم المتحدة عن تحقيق مشروع بتقسيم فلسطين وقيام دولة إسرائيل بقوة السلاح غدا من السهولة بمكان عدم الاكتراث بأي قرار تتخذه هذه المنظمة الدولية ، وعندها اختفت قضية العيش بسلام مع العرب .. وفي مثل هذا الوضع سهل على أمثال بن غوريون الاعتقاد بأن احتلال مناطق غير مأهولة كان ضرورياً من وجهة النظر الأمنية ، ومرغوباً فيه من وجهة نظر تجانس الدولة اليهودية الجديدة » ..

وسرعان ماقام الجيش الإسرائيلي الذي تم إنشاؤه على قاعدة « الهاجاناة » والذي دخلت في عداده عصابتا « أرغون تسفي ليومي » و « ليخي » بهجوم هدفه احتلال الأراضي التي كانت، وفق قرار هيئة الأمم المتحدة تابعة للدولة العربية الفلسطينية .. فعلى سبيل المثال ، احتلت القوات الإسرائيلية في فترة مايدعى بهجوم « الأيام العشرة » صيف عام ١٩٤٨ مايقرب من ألف كيلومتر مربع كانت تقوم عليها ١٤ مدينة و ٣١٢ قرية عربية .. انتهى كلام أوري أفنيري ..

* * *

ونقدم شهادة أخرى من الكاتب البريطاني أرسكين تشيلدز .. في كتابه الطريق إلى السويس .. وهو يصف عملية طرد الفلسطينيين مستنداً إلى وثائق إسرائيلية ..

يقول تشيلدز :

– « ترأس موشي ديان في ١١ يونيو فريقاً من الكوماندوز محمولاً بسيارات « الجيب » واقتحموا الليل شاهرين بنادقهم ورشاشاتهم من نوع « ستين » .. ومدافعهم الرشاشة .. ومر هذا الفريق بشوارع المدينة الرئيسية فاتحاً النار على كل هدف متحرك .. كانت أشلاء الرجال العرب وحتى الأطفال مبعثرة هنا وهناك على امتداد الشوارع بعد هذا الهجوم الذي تقطع مشاهده نياط القلب .. وفي اليوم التالي احتلوا مدينة مجاورة هي رام الله ، وتم اعتقال جميع الشبان العرب وزج بهم في معتقلات خاصة .. كانت الشاحنات الإسرائيلية المزودة بمكبرات الصوت تجوب الشوارع في المدينة مهددة السكان

بقطع الغذاء والماء ومحذرة العرب بأنهم في مدة ٤٨ ساعة يجب أن يرحلوا إلى منطقة الهلال الخصيب .. ومن ثم بدأ الجنود الإسرائيليون بنهب المدينتين ..

* * *

يقول الكاتب السوفيتي سرجي سيدوف ، في كتابه الصهيونية ونهج الإرهاب لقد قام قادة المنظمات الإرهابية ، والذين أصبحوا قادة الدولة أمثال ديفيد بن جوريون ومناحم بيجين وموشي ديان وإيجال آلون واسحق رابين ، بإرهاب أدى إلى مصرع عشرات الألوف من الفلسطينيين وأصبح أكثر من ٧٠٠ ألف فلسطيني في عداد اللاجئين .

لقد احتلت إسرائيل مساحة كبيرة من الأرض كانت مخصصة لإقامة الدولة العربية الفلسطينية بلغت مساحتها على وجه الدقة ٦ر٧ آلاف كيلومتر مربع .. وما عدا الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة والقسم الشرقي لمدينة القدس ، أقيم على كل مساحة فلسطين نظام صهيوني .. لقد حرم الشعب العربي الفلسطيني ليس فقط من حقه في تقرير مصيره ، بل ومن شبر أرض يفترشه وسقف يلتحفه .. لقد حقق الإرهاب مآربه .. كتب هوفارد زاخار البعيد عن التضخيم والمبالغة في كتابه عن تاريخ إسرائيل « وفق كل الإحصاءات حصل اليهود على أرض استولوا عليها يحرثونها ويزرعونها وتزيد مساحتها بأربع مرات على أقل تقدير عما كانت بحوذتهم قبل إقامة دولتهم .. وما عدا الممتلكات الزراعية سلبت من العرب مدن بأكملها من ضمنها حيفا وعكا واللد ورام الله وبيسان والمجدل ، وكذلك ٣٨٨ بلدة وقرية ، ومناطق بأكملها ، و ٩٨ مدينة بين كبيرة وصغيرة كان يقوم فيها ربع جميع البيوت في إسرائيل ، وحوالي ١٠٠ ألف مسكن و ١٠ آلاف متجر ومؤسسة ..

* * *

الغريب في الأمر يامادة ، أن اليهود قد ادعوا أمام العالم ، بأن عرب فلسطين هم الذين تركوا الأرض ، تلبية لنداء الدول العربية ، وأن المسألة ليس فيها إرهاب لم يشهده العالم من قبل .. وصدق العالم الأكذوبة اليهودية ، بل لقد بدأت هذه الأكذوبة اليهودية ، تتسلل – حتى إلى بعض الكتاب العرب – ، ولكن الذين تركوا الديار قبل عام ١٩٤٨ ، تركوها هرباً من الإرهاب الذي لا يملكون رده ، أو رد جانب منه ، ونقدم هنا دليلاً إسرائيلياً على كذب الدعاية اليهودية .. فيقول المؤرخ الإسرائيلي هوفارد زاخار :

– كانت هناك عدة أسباب لنزوح الفلسطينيين من ديارهم ، لكنه لم يكن هناك مايؤكد على أن الحكومات العربية هي التي دعتهم للهجرة من هناك لكي يفسحوا الطريق

لدخول الجيوش العربية ، هذا الموضوع الذي عادة ماكان يؤكد عليه الإسرائيليون بعد الحرب ، لكنه لم يكن هناك مايؤكد على أن الحكومات العربية هي التي دعتهم للهجرة من هناك لكي يفسحوا الطريق لدخول الجيوش العربية ، هذا الموضوع الذي عادة ماكان يؤكد عليه الإسرائيليون بعد الحرب ، لكنه لم يكن هناك أي أمر يدعو للجلاء في جميع بيانات جامعة الدول العربية .. أو في أي من البيانات العسكرية لتلك الفترة ، بل كانت بلاغات وبيانات الصحافة والإذاعة العربية لتلك الحقبة من الزمن على العكس تماماً من ذلك ، كانت جامعة الدول العربية تدعو الفلسطينيين إلى البقاء حيثما وجدوا والتمسك بالأرض وعدم الخروج منها .

* * *

ثم نقدم شهادة أخرى ، عندما قال إيجال الون قائد الهاجاناة ، والذي قاد عملية احتلال الجليل ، قال :

– جمعت كل العمد اليهود الذين كانت لهم اتصالات بالعرب في مختلف القرى وطلبت منهم أن يهمسوا في آذان بعض العرب عن وصول تعزيزات يهودية كبيرة إلى الجليل بنيتها حرق كل القرى هناك ، وعليهم أن يقدموا النصح الودي للعرب للنجاة مادام الوقت لايزال يسمح بذلك ، وانتشر في المنطقة كلها نبأ وصول التعزيزات اليهودية وحلول الأوان للهرب والنجاة بالنفس .. وبلغ عدد الهاربين آلاف مؤلفة .

* * *

ولم تنته العمليات الإرهابية ضد السكان العرب .. بل كان هناك في مخططهم الكثير والكثير من العمليات الإرهابية .. وكانت أكبر مجازرهم هي مذبحة دير ياسين .. أبشع مذبحة في التاريخ .. وعار إسرائيل الأبدي .

« كانت العلاقة بيننا وبين سكان قرية دير ياسين ممتازة ، وكان بيننا اتفاق موقع من قبل ضابط الشرطة ناحوم بوشمي باسم الوكالة اليهودية ومختار الحي اليهودي يوري بريد مان ، وأنا .. حيث كنت أشغل آنذاك منصب قائد المنطقة ، ووقع على الاتفاق باسم قرية دير ياسين المختار ووجهاء القرية ، وقد نص هذا الاتفاق على عدم مهاجمة أحدنا للآخر ، وقد حافظ سكان دير ياسين على هذا الاتفاق » ..

* * *

عكيـــا أزولاي

نائب رئيس بلدية القدس

ديـــر ياســـين

مضى على هذا اللقاء أكثر من عشرين عاماً .. وأستطيع – حتى هذه الساعة – أن أصف كل دقائق هذا اللقاء المثير .. لقد كنت في زيارة إلى الأردن عام ١٩٦٤ بدعوة من الملك حسين ، ملك الأردن ، وكان مرافقي في هذه الرحلة هو مدير المطبوعات صلاح أبو زيد[١] في الأردن ، وكنا نتحدث عن همومنا العربية .. ثم عن القضية الفلسطينية ، ثم الإرهاب الإسرائيلي ، وعندما نذكر الإرهاب الإسرائيلي تطل على الفور قرية دير ياسين ، القريبة من القدس ، وعار إسرائيل والإنسانية كلها .. قال مدير المطبوعات الأردني :

– هل تريد أن تلتقي بضحايا هذه المجزرة ؟

رحبت على الفور ، وذهبنا إلى بيت قديم في القدس ، عليه لافتة تقول « مدرسة دير ياسين للأيتام » ، ودخلنا المدرسة ، لنجد عشرات التلاميذ والتلميذات الفلسطينيات ، ومديرة متحمسة تؤدي رسالة وطنية وإنسانية في نفس الوقت ، وعدداً من المدرسات ..

* * *

في البداية جلسنا مع المديرة ، التي شرحت أهداف هذه المدرسة ، أنها تجمع أبناء شهداء الإرهاب الإسرائيلي وتقوم بتعليمهم ، وأن هذه المدرسة قائمة على تبرعات المواطنين من الضفة الغربية بالإضافة إلى دعم من الحكومة الأردنية ، قالت ان القوات الإسرائيلية كثيراً ما تعتدي على قرى الحدود ، وتقتل الأسرة بكاملها إلا طفلاً صغيراً ، حتى يحكي هذا الطفل ما شاهده من إرهاب لتخويف بقية الناس ، ولكننا نأخذ الطفل ونلحقه بهذه المدرسة ، حتى يحصل على شهادة إتمام الدراسة الإعدادية .. ثم نرسله إلى المدارس الثانوية .. وبعد ذلك إلى الجامعة ..

قلت : سيدتي .. أريد أن التقي بضحايا دير ياسين ..

قالت : إنهم هنا ..

قلت : وكيف جاءوا ؟

قالت : لقد كانوا ثمانية عشر طفلاً صغيراً .. هم كل بقايا القرية .. شاهدوا الرعب كله .. ثم جمعوهم في سيارة للقمامة .. وألقوا بهم على مشارف القدس الشرقية ..

---

(١) أصبح فيما بعد وزيراً للإعلام ثم وزيراً للخارجية وسفيراً للأردن في بريطانيا ..

وجرى الأطفال إلى القدس الشرقية .. كان بيتي هو أقرب بيت لهم .. أو قل كان باب بيتي هو المفتوح في تلك الأيام السوداء .. فدخلوا البيت .. وهم في غاية من الرعب والخوف .. بكوا .. وبكوا .. وشابت شعورهم وهم يحكون .. وقضوا الليلة في بيتي .. ولم يكن هناك مفر من تحويل البيت إلى مدرسة .. بعد أن عاشوا معي عدة أسابيع .. وكبر الأطفال .. بعضهم في الرابعة والعشرين وأصغرهم في الثامنة عشرة ..

قلت : لقد مضى على مجزرة دير ياسين حوالي ستة عشر عاماً .. أي أن طفلة عمرها عامين كانت من بين شهود المجزرة ..

قالت : وأقل من ذلك .. ولكن لا تدري أين ذهبوا .. أو ماذا فعل بهم اليهود ..

* * *

ضحايا دير ياسين يعملون مدرسين في تلك المدرسة نبيلة الأهداف ، لقد تعلموا فيها ، وظلوا بها يعلمون الأجيال القادمة من أبناء الشهداء ، طلبت المديرة منهم الحضور ، وجاءوا ، وجلسنا يوماً كاملاً ، قاسياً ومرعباً ، ونحن نعيد هؤلاء الشباب والفتيات بذاكرتهم إلى أسوأ أيام ممكن أن تمر في حياة إنسان ، إلى يوم المذبحة الكبرى في فلسطين ، إلى يوم دخول قوات مناحم بيجين هذه القرية الوديعة ..

* * *

قرية دير ياسين ، قرية صغيرة ، تعتبر ضاحية من ضواحي مدينة القدس ، فهي لا تبعد عنها أكثر من أربعة كيلو مترات ، يسكنها قوم طيبون ، يعملون بالزراعة في الأراضي والبساتين المحيطة بالقرية .. الحرب العربية الإسرائيلية الأولى تدور رحاها على أرض فلسطين ، وشباب القرية لم يتدرب على القتال ، ولكن بعضهم حمل السلاح دفاعاً عن القرية في حالة أي هجوم يهودي عليهم ..

* * *

أطفال القرية نيام ، وكذلك الشيوخ والنساء .. وفي فجر يوم ٩ أبريل عام ١٩٤٨ ، استيقظ كل سكان القرية على صوت إطلاق النيران ، فلقد جاءت العصابات الصهيونية إلى القرية وقام بعض الشباب الذين يملكون سلاحاً بإطلاق الرصاص على هؤلاء الغزاة ، واستمر تبادل إطلاق الرصاص طويلاً ، وهذه الأسر مازالت في البيوت .. ثم سكت قليلاً صوت الرصاص ، وبدأت مكبرات الصوت تطلب من كل السكان التجمع في الشارع

الرئيسي للقرية ، في هذا الوقت استطاع البعض أن يهرب إلى التلال القريبة .. وبقى في القرية عدد قليل معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ ..

تجمع السكان في الشارع الرئيسي بالقرية الصغيرة وكان الجنود – القتلة – الإسرائيليون ، يبتسمون بهستيرية ، وهم يحملون مدافعهم الرشاشة ، وكان الطابور الذي وقف أمام هؤلاء الجنود طويلاً ، لا يقل عن ٣٠٠ من سكان القرية ، لكن معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ ، حيث لم يتمكن هؤلاء من الهروب ، واختار القتلة حوالي ٢٥ شاباً من الشباب الذين وقفوا في الطابور ، وأرغموهم على ركوب سيارة شحن ، بعد أن ضربوهم بكعوب البنادق والمدافع الرشاشة ، وخرجوا من القرية .. وهم يطلقون الرصاص في الهواء ، وبقي بقية السكان في الطابور في حراسة بقية القتلة .. وبعد قليل عاد القتلة والشباب الفلسطينيين ، وأنزلوهم بنفس القسوة من سيارة النقل هذه ، وأمروهم بالوقوف طابوراً ووجوهم للحائط ، ووقف الشباب ، ثم بدأت المجزرة .. الضحكات الهستيرية مستمرة ، ثم تحدثوا بالعبرية ، ثم بدأ إطلاق الرصاص ، فسقط خمسة قتلى ، ثم توقفوا قليلاً ، وتحدثوا .. وضحكوا .. بينما بقية السكان في رعب قاتل .. فإن مشهد القتل يحدث أمامهم .. في الجهة المقابلة .. ثم قتلوا دفعة أخرى من هؤلاء الشباب .. وثالثة .. حتى سقط كل الشباب على الأرض .. بجوار الحائط قتلى ..

وعندما توقف القتل قليلاً .. أصيبت سيدة حامل في شهرها الثامن على الأقل بذعر شديد .. بل قل بهستيريا .. فخرجت عن طابور الخوف .. وحاولت أن تهرب .. فأمسك بها سفاح يهودي .. وبقر بطنها بالسكي أمام الجميع .. وأخرج الطفل الذي لم يكتمل بعد من بطنها .. وسقطت المرأة .. ميتة ..

وسقط من سقط مغشياً عليه من هول ما رأى .. استراح .. فلقد أطلقوا عليه الرصاص دون عذاب .. استمرت حملة الإرهاب والدم أكثر من ثلاث ساعات بين بقر بطون النساء .. وبين تعذيب الشيوخ .. وإرهاب الأطفال .. حتى وصل عدد القتلى إلى ما لا يقل عن ٢٥٠ قتيلاً بين رجل وامرأة وشيخ وطفل ..

ماذا بقى من السكان ؟

لم يبق غير ثمانية عشر طفلا وطفلة .. أمروهم بركوب سيارة لجمع القمامة .. وجاءوا بهم عند بوابة مندليوم التي تفصل القدس الشرقية عن القدس الغربية .. وألقوا بالأطفال ..

انتهت رواية فتيات وفتيان مدرسة دير ياسين للأيتام ، لقد عشت أياماً سوداء بعد سماعي هذه الرواية ، من أفواه الضحايا ..

* * *

علم الصليب الأحمر الدولي بما حدث في قرية دير ياسين ، وطلب من اليهود دخولها ، ورفض طلبهم ، لأنهم في هذه الأثناء كانوا يحاولون إخفاء جريمتهم عن عيون العالم .. ثم سمحوا لبعثة من الصليب الأحمر الدولي بدخول القرية ، وبدأوا في البحث عن الجثث ، والتي كانت تملأ الشارع الرئيسي للقرية ، وأخيراً عثروا على ١٥٠ جثة في بئر قريب من مدخل القرية ، وعثروا على مائة جثة أخرى في مقبرة جماعية حفرها اليهود لضحايا الدم والإرهاب والوحشية ..

* * *

مناحم بيجين لا يخجل من هذه المذبحة ، إنه يذكرها بكل فخر في كتابه « التحدي » .. ويقول لولا ما حدث في دير ياسين ، لكان الوضع العسكري لليهود أسوأ ، وأن دير ياسين كانت بمثابة لواء إسرائيلي كامل أضيف إلى القوات الإسرائيلية في وقت حرج ، لأن سكان القرى العربية قد هجروها دون إطلاق رصاصة واحدة خوفاً من أن يحدث لهم ما حدث في دير ياسين ..

* * *

والآن .. نعود إلى شهادة الإسرائيليين أنفسهم عن أبشع مذبحة في التاريخ .. أو إلى عار إسرائيل .. في الرابع من أبريل عام ١٩٧٢ نشرت الصحيفة الإسرائيلية اليومية يديعوت أحرونوت نص تقرير كتبه محارب صهيوني يدعى مئير فيلبيسكي .. وعرف فيما بعد باسم مئير باعيل ، ووصفته الصحيفة بأنه شاهد العيان الوحيد من خارج صفوف منظمتي ليحي وآتسل ، الذي شارك في ارتكاب المجزرة ، ودون ما شاهده وسمعه .. يقول مئير باعيل في تقريره :

– « خلال نيسان – آيار عام ١٩٤٨ ، دارت أكثر المعارك حسماً حول مدينة القدس ، ومالت فيها دماء كثيرة من قوات الهاجاناة والبالماخ ، في معركة القسطل ، وفي ذروة المعارك في منطقة القدس ، انسحبت منظمتا ليحي وآتسل من المعركة إلى قرية دير ياسين .. وكان هناك في رأيي ، شيء غامض وراء هذا الانسحاب .. ولربما كانت هناك

رغبة في تصفية حسابات قديمة ، مع القرية العربية منذ أحداث ١٩٣٦ – ١٩٣٩ ، التي وقعت في حي غفعات شاؤول ..

وفي ليلة ٨ – ٩ نيسان ١٩٤٨ ، عندما كانت وحدات البالماخ تقاتل في معركة القسطل ، اقتربت وحدات من آتسل وليحي من قرية دير ياسين وخرجت قوات آتسل من حي بين هكيرم ، وهاجمت القرية من الجنوب الشرقي ، في حين هاجمتها قوات ليحي من الشمال الشرقي ، وعند الفجر وصلت القوتان إلى ضاحية القرية ، وأرسلت وحدة ليحي في اتجاه القرية ، سيارة مصفحة تحمل مكبرات للصوت تدعو السكان إلى الاستسلام ..

واكتشف سكان قرية دير ياسين ، تغلغل مقاتلي ليحي وآتسل في قريتهم واقتحم المهاجمون القرية ، وهرب معظم السكان بأسلحتهم ، وبقى في القرية عدد قليل من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال ..

كان الوقت ظهراً ، عندما انتهت المعركة وتوقف إطلاق النار ، وغادر محاربو آتسل وليحي الأماكن التي اختبأوا فيها ، وبدأوا ينفذون عملية تطهير لمنازل القرية ، وأطلقوا النار على كل من شاهدوه في الطرقات والمنازل ، وحدثت مجزرة مخجلة بين السكان الرجال والشيوخ والنساء والأطفال دون تمييز بتوقيف السكان بجانب الجدران والزوايا وإطلاق النار عليهم ولم يحاول القادة منع أعمال القتل المخجلة ..

ويقـــول :

لقد توسلت ، أنا وعدد من سكان القدس ، إلى قادة آتسل ، كي يصدروا تعليماتهم إلى جنودهم بوقف إطلاق النار على السكان ، لكن عبثاً حاولنا ، وفي هذه الأثناء أخرج من داخل المنازل نحو خمسة وعشرين رجلاً ، نقلوا في سيارة شحن ، واقتيدوا في جولة انتصار ، في حي محانية يهودا وزخرون يوسف ، وفي نهاية الجولة ، .. أحضروا إلى مقلع للحجارة يقع بين غفعات شاؤول ودير ياسين ، وأطلق عليهم الرصاص بدم بارد ، ثم أجبر محاربو آتسل وليحي النساء والأطفال ، الذين استطاعوا البقاء على قيد الحياة ، على الصعود إلى سيارة شحن ونقلوهم إلى بوابة مندليوم .. ورفض قادة لحي وآتسل الطلب الذي وجه إليهم ، بأن يدفن محاربوهم ٢٥٤ ضحية عربية كانت مبعثرة في شوارع وأزقة وداخل منازل القرية » ..

وفي أعقاب ردود الفعل المثيرة التي أحدثتها المجزرة[1]، طلبت الهيئات الدولية من الصليب الأحمر ، أن يطلع على الحقيقة ، فطلب المسيو جاك ديجينيز ممثل الصليب الأحمر في القدس ، من الوكالة اليهودية أن تسمح له بزيارة مكان المجزرة .. فحيل بينه وبين ذلك ، ولم يسمح له بزيارة القرية ، إلا بعد يوم كامل حاول خلاله المجرمون أن يخفوا آثار جريمتهم ، فجمعوا ما استطاعوا جمعه من أشلاء الضحايا .. وألقوها في بئر وأقفلوا باب البئر ، وحاولوا تغيير معالم المكان .. حتى لا يعثر عليه مندوب الصليب الأحمر ، ولكنه استطاع معرفة مكان البئر ووجد فيه مائة وخمسين جثة مشوهة ، لنساء وأطفال وشيوخ ، فضلاً عن الجثث التي وجدت في البئر ، دفنت عشرات الجثث في قبور جماعية ، في حين بقيت عشرات أخرى مبعثرة في زوايا الطرقات وخرائب البيوت ..

وبعد ٣٥ عاماً على تنفيذ مجزرة دير ياسين نشرت جريدة عل همشمار الصادرة في ١٩٨٣/٤/٨ مقالاً بقلم شوقي بن عامي يكشف فيه معلومات جديدة وهامة حول المجزرة ، واكتسبت هذه المعلومات أهميتها من كونها شهادات لأشخاص شاركوا في العملية ، واطلعوا على أدق تفاصيلها ، ومما أوردته جريدة عل همشمار :

في صبيحة يوم الجمعة ١٩٤٨/٤/٩ ، احتلت منظمتا آتسل وليحي قرية دير ياسين العربية الواقعة في المشارف الغربية لمدينة القدس ، حيث قتل أثناء احتلالها ٢٠٠ مواطن من سكانها ، ووفقاً لبيان مشترك ، صدر عن قيادة منظمتي آتسل وليحي فقد قامت المنظمتان بالسيطرة على القرية لمدة ٤٨ ساعة ، على أن تقوما بتسليمها لمنظمة الهاجاناة بعد ذلك ..

وجاء في البيان الذي أصدرته منظمة آتسل يوم ١٩٤٨/٤/٩ ، « أن جنود المنظمة العسكرية القومية ، ومقاتلي إسرائيل » احتلوا قرية دير ياسين .. التي تقع إلى الغرب من مدينة القدس ، بعد هجوم خاطف ، ابتداء من الساعة الرابعة والنصف صباحاً ، وقد تم تفجير التحصينات الموجودة في القرية ، ودفن تحتها عشرات المقاتلين العرب » ..

وفي الساعة السابعة من مساء يوم ١٩٤٨/٤/٩ ، وصل بيان آخر عن سير المعركة في دير ياسين ، جاء فيه : « أن قرية دير ياسين قد احتلت بأكملها .. وهي الآن تحت أيدينا ، وقد تم حتى الآن إحصاء ٢٤٠ قتيلاً عربياً ، بعد أن دارت المعارك من بيت إلى

---

(١) من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين إعداد غازي السعدي – دار الجليل للنشر عمان .

آخر ، كما وقع في أيدينا أسرى عرب ، وذكر البيان أن منظمتي آتسل وليحي ستسلمان قرية دير ياسين إلى منظمة الهاجاناة بعد ٤٨ ساعة .

وعن العلاقات بين مواطني دير ياسين وجيرانهم اليهود ، يتحدث عكيبا أزولاي ، قائد منطقة غفعات شاؤول آنذاك ، ونائب رئيس بلدية القدس فيما بعد وهو الآن محال على التقاعد فيقول : « كانت العلاقات بيننا وبين سكان قرية دير ياسين ممتازة ، وكان بيننا اتفاق موقع من قبل ضابط الشرطة ناحوم بوشمي ، باشم الوكالة اليهودية ، ومختار الحي اليهودي بري بريدمان وأنا حيث كنت أشغل آنذاك منصب نائب قائد المنطقة ، ووقع على الاتفاق باسم قرية دير ياسين المختار ووجهاء القرية ، وقد نص هذا الاتفاق على الالتزام بعدم مهاجمة أحدنا للآخر ..

ويضيف عكيبا أزولاي ، بأن سكان دير ياسين قد حافظوا على الاتفاق .. وفي اعتقادي لم تكن في قرية دير ياسين آنذاك عصابات ، ولا حتى قوات عراقية .. وكان الاتصال يتم بين سكان غفعات شاؤول ودير ياسين ، بواسطة موشيه عباديا أزولاي .. وكان أزولاي يزور دير ياسين يومياً ، ومن خلاله عرفنا بالضبط كميات السلاح الموجودة بحوزة سكان دير ياسين ، فقد كان هناك رشاش برن واحد .. وثلاثة رشاشات ستن ، وسبع بنادق انكليزية ، وكميات قليلة من الطلقات والقنابل ..

ويتابع عكيبا أزولاي ، بأن سكان دير ياسين ، لم يكونوا خطراً من سكان أي قرية عربية اليوم ، ولو أراد سكان غفعات شاؤول طردهم لكان بالإمكان طردهم .. كما حصل مع سكان لفتا وغيرها من القرى العربية ، وكانت هناك مربية بيت يهودية من سكان غفعات شاؤول ، اعتادت شراء البيض والخضراوات من عرب دير ياسين ، وكانت تقول بأنها لم تكن تخافهم لأنهم لم يكونوا خطرين ، كما وصفهم بذلك رجال ليحي وآتسل ..

وتحدث أزولاي عن ليلة الهجوم على دير ياسين ، فقال : أن رجال منظمة ليحي احتشدوا في مصنع للبيرة ، كما احتشد رجال منظمة آتسل في بيت كارم . ودخلت قوات ليحي وآتسل القرية في الساعة الرابعة صباحاً ، واستناداً إلى بيان منظمة آتسل ، فقد تم تحذير المواطنين العرب في دير ياسين بمكبرات الصوت ، لكن المواطن د. أ. من سكان غفعات شاؤول ، فند هذا الزعم بسخرية وقال : صحيح أن جنود الآتسل استخدموا مكبرات الصوت لتحذير السكان العرب في دير ياسين لكن هذا لم يتم إلا بعد أن تمت

المذبحة ، ونحن سكان غفعات شاؤول لم نسمع مكبرات الصوت إلا في ساعات نهار يوم الجمعة ، بعد أن تم احتلال القرية وحدث ما حدث ..

وفي مساء يوم الجمعة ، غادر قسم من قوات آتسل وليحي دير ياسين وبتاريخ ١٩٤٨/٤/١٢ وصلت إلى القرية قوة من الهاجاناة ، يبلغ قوامها مائة جندي .. وقال نيسان هريز ، الذي كان ضمن قوة الهاجاناة التي وصلت إلى القرية ، عندما دخلنا قرية دير ياسين ، كانت رائحة الجثث المحروقة تملأ أجواء القرية ، ولم نعثر في القرية على أحياء ، حيث كانت مهجورة تماماً ، وآلاف الحقائب مبعثرة هنا وهناك وعند المساء صدر الأمر لقسم من القوة بجمع ودفن الضحايا ، وخلال عملية جمع الضحايا تكشف لنا حجم عمليات القتل التي جرت في القرية ، فقد عثر على عشرات الجثث لرجال ونساء وشيوخ وأطفال داخل البيوت .. وقد قتل كثير منهم في أسرهم ، .. وكانت تبدو آثار إطلاق النيران على الجدران ، وفي عدد كبير من البيوت وجدنا عائلات كاملة مقتولة ، وجثث الأطفال ملقاة على الأرض هنا وهناك ..

ويضيف هريز قائلاً : وعند الفجر أبلغونا بأن الصليب الأحمر سيصل إلى القرية في وقت قصير ، وعلينا أن نخفي آثار المجزرة ، فقمنا بجمع العشرات من الجثث ، ووضعناها في بناية ، ثم قام خبراء المتفجرات بتفجيرها على من فيها من جثث ..

كذلك فإن عمليات السلب والنهب كانت بارزة في كل مكان ، وعلى كل شيء كما يقول ى. أ. ، وهو مدرس في القدس طلب عدم الكشف عن اسمه . ويضيف قائلاً : وجدنا كل الخزائن في بيوت القرية مقلوبة وخالية من محتوياتها ، كما أن البطانيات والفرشات كانت ممزقة ، مما يدل على أنه جرى تفتيش جذري ودقيق وأخذت أغراض ثمينة .

وفي مساء يوم الجمعة ، تم نقل الأسرى في شاحنات مفتوحة اجتازت شوارع القدس ، ويقول عضو الكنيست يعقوب جيل : « كنا نسكن في نحلئوت في القدس ، .. عندما وقعت مذبحة دير ياسين ، وبعد أن تم احتلال القرية ، نقل الأسرى في شاحنات مرت عبر حي نحلئوت ، باتجاه معسكر يهودا ، وقام جمهور من اليهود بالبصق على الأسرى وقذفهم بالحجارة ، ووجهت إلى الأسرى أقذع الشتائم ..

ومما تجدر ملاحظته ، أن الإرهابي مناحم بيجين يقيم منذ استقالته من رئاسة الوزارة وبناء على اختياره في منزله الذي يشرف على المستوطنة التي أقيمت على أنقاض قرية دير ياسين – ربما ليتذكر – ما قام به من قتل وإجرام وسفك دماء ، بحق أبناء القرية .. إذ أن

بيغن كان وقت تنفيذ المجزرة ، قائداً للعصابة المسماة .. « المنظمة العسكرية القومية – آتسل – » وربما تعود حالة الاكتئاب النفسي التي يعاني منها بيغن حالياً ، إلى هذه الذكريات[1].

إغتيال الوسيط الدولي

بعد ازدياد أعمال العنف ، أرسلت الأمم المتحدة إلى فلسطين دبلوماسياً سويدياً هادئاً عادلاً ، هو الكونت فولك برنادوت ، وجاء الرجل إلى المنطقة ، وبدأ دراسة المشكلة على الطبيعة ، واستمع إلى كافة الأطراف ، وكان الرجل قد جاء متأثراً بالدعاية الصهيونية في أوربا وأمريكا ، إلا أن تعامله مع الواقع في الشرق الأوسط قد وضح له الكثير من الحقائق ، ثم أصدر عدة توصيات لتخفيف حدة التوتر والنزاع في المنطقة ، ومن هذه التوصيات :

– تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين .
– توحيد الجزء العربي في فلسطين مع الأردن .
– تدويل القدس .

وقامت الدنيا ولم تقعد بين الزعماء اليهود ، واعتبروا أن هذه التوصيات هي القضاء على قيام إسرائيل ، وأوصت الوكالة اليهودية بضرورة اغتيال الوسيط الدولي .. وعهد بأمر اغتياله إلى إحدى المنظمات الإرهابية اليهودية ..

وفي ١٧ سبتمبر عام ١٩٤٨ ، تمكن الإرهابيون اليهود من اغتيال الكونت برنادوت في القدس .. وظل اسم القتلة لغزاً ، ونشرت روايات كثيرة حول القتلة حتى كانت يوم ٢١ سبتمبر عام ١٩٨٦ ، عندما نقلت وكالة الأنباء الألمانية تقريراً لها من القدس ، كشف أسماء القتلة ، قالت الوكالة :

– « بعد ٢٨ عاماً تم حل لغز قضية اغتيال الكونت فولك برنادوت ، وسيط الأمم المتحدة السويدي في الشرق الأوسط وتحديد من قام باغتياله » .

وأكد المؤلف الإسرائيلي ميشيل بارسوهار كاتب سيرة ديفيد بن جوريون أول رئيس وزراء إسرائيلي أكد في تل أبيب اليوم (١٩٨٦/٩/٢١) أن هيهو شوا كوهين الذي كان

---

(١) المصدر السابق .

ينتمي إلى منظمة ليحي اليهودية السرية قد اعترف خلال حديث خاص منذ عدة سنوات بأن الرصاصات التي أطلقها قد قتلت ممثل الأمم المتحدة في سبتمبر عام ١٩٤٨ ..

وقال بارسوهار لمراسل وكالة الأنباء الألمانية الغربية أن كوهين الذي توفي في كيبوتز « سديه بوكر » منذ ستة أسابيع قد ألح عليه بعدم نشر هذه المعلومات إلا بعد وفاته ..

وكان المؤلف قد اكتشف إشارة إلى احتمال تورط كوهين في حادث الاغتيال الغامض منذ عدة سنوات في يوميات بن جوريون ..

وتحدث المؤلف إلى كوهين بشأن هذه الإشارة التي يبدو أن بن جوريون نفسه قد نسيها بعد أن دونها ..

وتذكر بارسوهار قول كوهين له أن برنادوت كان يعارض بشدة وجودنا .. وقضيتنا .. وأراد أن يفصل الأجزاء الأكثر أهمية بالنسبة لدولة إسرائيل الجديدة وباختصار فإنه كان يريد بعد عملية الإبادة الجماعية لليهود في أوربا أن ينزل بنا كارثة جديدة ..

وقد عارض بن جوريون نفسه جميع المنظمات السرية اليهودية وأمر بحلها بعد أن أصبح وزيراً للدفاع ورئيساً للحكومة في عام ١٩٤٨ ..

وعندما التقى بن جوريون بكوهين في « سديه بوكر » حيث أقام أبو الدولة منذ عام ١٩٥٩ والذي تقاعد عن عمله كرئيس للوزراء في عام ١٩٦٣ واعتزل الحياة السياسية النشطة في عام ١٩٧٠ فلم يكن يعرف بتورط كوهين في منظمة ليحي ، وأصبح كوهين في وقت لاحق الحارس الشخصي لبن جوريون في الكيبوتز .. وتردد أن كوهين قد كشف عن دوره في حادث اغتيال برنادوت خلال نزهة سيراً على الأقدام مع رجل الدولة العجوز .

وتضيف الوكالة الألمانية الغربية :

– « ومن بين الشخصيات البارزة الأخرى في منظمة ليحي اسحق شامير وكان شامير قد اتهم في الماضي بتورطه في قضية برنادوت ، وقد أشارت السيرة الذاتية لبن جوريون التي نشرت في وقت سابق إلى أن كوهين قد « تنصل » من معتقداته السابقة وأيد إيجاد تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي » ..

* * *

قبل تقرير الوكالة الألمانية في سبتمبر عام ١٩٨٦ ، ظلت هوية قاتل برنادوت شبه مجهولة ، لكن لم ينكر أحد أن الإرهابيين الذين قتلوا الوسيط الدولي هم من يهود العصابات ، فقد ذكر جوشوازلنجر أحد الزعماء السابقين في منظمة شتيرن الصهيونية الإرهابية أن ٤ من أعضاء هذه المنظمة هم الذين اغتالوا الكونت برنادوت في فلسطين عام ١٩٤٨ .. وقال جوشوازلنجر في حديث له مع صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية أن الأربعة قاموا بناء على تعليمات من صحفي أجنبي بارتداء ملابس جنود الجيش البريطاني وأقاموا إحدى نقاط التفتيش على الطريق الذي كان من المفروض أن تمر فيه سيارة برنادوت .. وعندما وصلت السيارة وقفت أمام نقطة التفتيش أطلق أحدهم الرصاص على برنادوت حيث مات بعد ذلك ببضع دقائق وتمكن الأربعة من الفرار ..

وكشف باروخ ناديل الرئيس السابق لمجموعة شتيرن الإرهابية الإسرائيلية تفاصيل حادث اغتيال برنادوت .. اعترف بأنه اشترك في التدبير للحادث وأن المجموعة استغلت أحد الضباط الفرنسيين في قوات الأمم المتحدة وهو الكولونيل سيروت والذي كان مرافقاً لبرنادوت في الحادث ..

وأضاف أن فريد مان بيلين واليعازرنيسكي والدكتور شاؤوب قادة اللجنة المركزية لمجموعة شتيرن أصدروا أمراً في أغسطس ١٩٤٨ باغتيال برنادوت لأنه كان يضطهد إسرائيل باستمرار .. وقال ناديل : أننا اكتشفنا أن الكولونيل سيروت كان يعمل لحساب المخابرات البريطانية الفرنسية في وقت واحد فبدأنا في ابتزازه .. وأنه هو الذي أعطانا موعد وصول برنادوت إلى إسرائيل يوم ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ وخط سيره مما أتاح الفرصة لنجاح عملية اغتياله .

وأضاف أن برنادوت كان قد أمر بتغيير موكب سيره في آخر لحظة وأمر بأن يسير الموكب في طريق كاتامون .. وسارع الضابط بإبلاغنا بالتعديل .. وتم نصب الكمين وما أن وصل الموكب إلى منطقة بيرمان هاوس .. حتى سد الطريق أمام سيارته واقترب أحد رجال الجماعة وأطلق مدفعه الرشاش على سيارته ..

وأصابت الطلقات الأولى الكولونيل سيروت بطريق الخطأ .. وأصيب برنادوت نفسه بثماني رصاصات ..

وقال ناديل أن اليعازرنيسكي وشاؤوب يعيشان في إسرائيل وغيرا اسمهما إلى اليعازر شامير ود. هالداء . ويعمل ناديل عضواً في هيئة تحرير صحيفة يديعوت أحرونوت المسائية في إسرائيل ..

وقال ناديل أن شتيرن تؤمن بأن برنادوت كان معادياً لليهود ومؤيداً للعرب .. وأنه إذا لم يوقف عند حده سيدمر إسرائيل بمشروع القدس الذي قدمه ضمن تقريره عن تنفيذ مشروع تقسيم فلسطين وقالت آن كوفمان التي ترجمت كتاب ناديل أن المتطرفين الإسرائيليين كانوا يرون اغتيال برنادوت الذي أوصى بتقسيم إسرائيل إلى شطرين والحد من حدودها – نوع من حرب البقاء بالنسبة لإسرائيل ..

وقد نشر الصحفي الإسرائيلي ميشيل بارزوهار كتاباً عن حياة دافيد بن جوريون كشف فيه أن بن جوريون ذكر له بأنه يعرف قاتل برنادوت وأن القاتل اعترف لبن جوريون باغتيال الوسيط الدولي .. وأن القاتل كان صديقاً لبن جوريون ..

* * *

وأخيراً .. وبعد مرور ٢٨ سنة أعلن عن القاتل ، والذي كان الصديق والحارس لبن جوريون ، زعيم حزب العمل والذي استنكر اغتيال الوسيط الدولي ..

ولد برنادوت في ستوكهولم سنة ١٨٩٥ ، وانضم لفرقة الكشافة السويدية وهو صبي صغير .. وعندما أتم دراسته العالية قرر أن يدخل المدرسة العسكرية ، ثم استقال من وظيفته العسكرية عام ١٩٢٥ وسافر إلى أمريكا ليدرس أعمال البنوك والشركات وقد انضم إلى جمعية الصليب الأحمر السويدية ..

عينته حكومة السويد مديراً عاماً لإدارة الاتصال بالبعثات عام ١٩٣٩ ثم أصبح رئيساً لها عام ١٩٤٦ ، واستطاع من خلال عمله في الصليب الأحمر ، حتى قبل أن يصبح رئيساً لتنظيم عملية تبادل الأسرى والجرحى بين ألمانيا النازية والحلفاء .. كما تفاوض مع هيملر ، وأمكن إنقاذ ٤٠٠ يهودي دانمركي من أيدي النازيين ، كما تمكن من إطلاق سراح عدة آلاف من النساء اليهوديات من معسكرات الاعتقال النازية ..

وكان رجال العصابات الإرهابية يعرفون ذلك جيداً ولكن رغم ذلك اغتالوه ..